الأبعاد الإيجابية للدراسات الاستشراقية

دكتور/ طلال بن عبدالله ملوش
أستاذ الدراسات الاستشراقية المساعد
جامعة طيبة

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ المائدة: ٨

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

تمهيد:

فإني قد عزمت مستعيناً بالله تعالى على الكتابة في هذا الموضوع، والذي أردت به الوقوف على جزئية مهمة ندرت الكتابة فيها والإشارة إليها والعروج عليها من العلماء والمفكرين والباحثين لاسيما المتخصصين منهم بالدراسات الاستشراقية، مع كثرة الكتابات والدراسات والمؤلفات والأبحاث التي تناولت الاستشراق والمستشرقين ومجمل الدراسات الاستشراقية، حيث تركزت جل الدراسات العربية والإسلامية على نقد الاستشراق وبيان مخالبه، وتفنيد مزاعمه وافتراءاته، والرد على مطاعنه في الإسلام، ودحض الشبهات الاستشراقية المثارة حول كثير من القضايا الإسلامية المتنوعة، بينما تم إلى حدٍ كبير تجاهل الأبعاد الإيجابية للدراسات الاستشراقية، والتي مهما كان غمطها إلا أنها تمثل حيزاً مهماً من النتاج الواسع والحصيلة الكبيرة للدراسات الاستشراقية.

وبدايةً أقول كمقدمةٍ عقليةٍ ومنطقيةٍ؛ أنا على يقين تام منها: كما أنه لا يمكن بأي حالٍ لأي نتاج فكري وعلمي وبحثي بشري أن يكون صواباً محضاً وحقاً مطلقاً ويحظى بالقبول التام دون أن يعتريه أي نقص أو قصور؛ وبالمقابل لا يمكن أن يكون

كله شراً محضاً وباطلاً مطلقاً، مع تفاوت نسبي يرجع إلى طبيعة المنهجية والخلفية والدوافع التي يترتب عليها كل فكر أو منهج أو خطاب. وهذا ما ينطبق بالتأكيد على الدراسات الاستشرافية، مع الجزم بأنها في أغلبها أقرب إلى التضليل والخطأ منها إلى الإنصاف واستشراف الحقيقة.

ولكوني أحد المتخصصين علمياً وفكرياً بالاستشراق وأدير أحد الأقسام العلمية الدراسية المتخصصة بالاستشراق، فضلاً عن دراستي في جامعة أوروبية ولقاءاتي المباشرة مع بعض المستشرقين وأساتذة الاستشراق وحواراتي معهم وإشراف بعضهم على رسالتي في مرحلة الدكتوراه والتي كانت دراسة نقدية لأحد كبار المستشرقين وموقفه من الحديث النبوي؛ فقد لفت نظري التغييب الكبير للأبعاد الإيجابية للدراسات الاستشراقية، لدرجة تفتقد العدل والقسط والموضوعية؛ باستثناء بعض الإشارات السريعة واللفتات العابرة أو ما يتعلق بالحديث عن المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام أو الذين أسلموا بناءً على ذلك.

وعليه فقد رأيت أن من واجبي العلمي والأخلاقي الكتابة عن الأبعاد الإيجابية للدراسات الاستشراقية، من باب العدل والإنصاف امتثالاً للمنهج القرآني وفق قاعدته العظيمة في التعامل الأخلاقي المنصف مع الآخر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٢

أهداف البحث:

١. اقتفاء المنهج الإسلامي في العدل والقسط والإنصاف وعدم بخس الخير الذي عند الآخرين.
٢. الوقوف على الأعمال القيّمة التي قام بها المستشرقون والجهود الكبيرة التي خدموا بها التراث الإسلامي.
٣. بيان معالم إنصاف المستشرقين للإسلام، إنصافهم للقرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته، وإشادتهم بمحاسن الإسلام.
٤. تتبع صور ردة الفعل الإيجابية للاستشراق.
٥. دحض النظرة الخاطئة بين كثير من المسلمين في ربط الاستشراق بمحاربة الإسلام ونبيه.

أما عن التقسيمات فقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث كما يأتي:

المبحث الأول: خدمة التراث الإسلامي

أولاً: خدمة المخطوطات بالجمع والحفظ والفهرسة.

ثانياً: التأليف والتحقيق والنشر.

أ. التحقيق والنشر

ب. التأليف

ثالثاً: تعلم اللغة العربية وتعليمها والعضويات في مجامع اللغة العربية.

رابعاً: الترجمة إلى اللغات الأوربية

المبحث الثاني: انصاف الإسلام

أولاً: انصاف القرآن الكريم.

ثانياً: انصاف الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته.

ثالثاً: الإشادة بمحاسن الإسلام والدفاع عنه.

رابعاً: ظهور المستشرقين المنصفين.

المبحث الثالث: ردة الفعل الايجابية للاستشراق

أولاً: تفاعلات العقل العربي والمسلم مع الدراسات الاستشراقية.

ثانياً: دحض افتراءات المستشرقين ومطاعنهم بالإسلام.

ثالثاً: التأثير الإيجابي للفكر الإسلامي وعلومه التطبيقية على الغرب.

رابعاً: دراسات المستشرقين النقدية لإخوتهم من المستشرقين.

خامساً: تعرف أعداد كبيرة من الغربيين على الإسلام.

سادساً: إسلام بعض المستشرقين.

المبحث الأول: خدمة التراث الإسلامي

مما لا شك فيه أن أبرز الأبعاد الإيجابية للاستشراق تتمثل في الخدمات الكبيرة التي قدمها المستشرقون للتراث الإسلامي، لا تهمنا هنا الدوافع والغايات التي تقف خلف ذلك الاهتمام والعطاء، ولا ما صاحب ذلك من اختلالات وقصور، فهذا أمر طبيعي ومن الصعوبة بمكان أن يكون كل نتاج للمستشرقين نقي خالٍ من العيوب.

وسأعرض في هذا المبحث بعضاً من الخدمات التي قدمها الاستشراق للتراث الإسلامي:

أولاً: خدمة المخطوطات بالجمع والحفظ والفهرسة.

فقد اعتنى المستشرقون بالمخطوطات الإسلامية المتعلقة بالتراث الإسلامي عناية كبيرة من وقت مبكر، لإدراكهم القيمة العلمية والرمزية للمخطوطات المتنوعة في شتى العلوم للتراث العربي والإسلامي، وقاموا بخدمتها؛ وذلك من خلال اكتشاف الكثير منها وجمعها والمحافظة عليها، ثم قاموا بتحقيق ما أعجبهم منها وإخراجها إلى حيز الوجود، لاسيما المستشرقون الألمان، لدرجة أن بعض المكتبات الغربية تحتوي على آلاف المخطوطات المفقودة أو غير المتوفرة في المكتبات العربية والإسلامية، وكان للمستشرقين الألمان قصب السبق والاهتمام الأكبر والخدمة الأوسع.

ولولا عناية المستعربين بإحياء تراثنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها، من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، ومعجم ما استعجم، وفتوح البلدان، وفهرست ابن النديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وأخبار الحكماء، والمقدسي، والأسطخري، وابن حوقل، والهمداني، وابن جرير، وابن بطوطة، إلى عشرات من كتب الجغرافية والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، وبها وقفنا على درجة حضارتها، ولولا إحياؤهم تاريخ ابن جرير وابن الأثير وأبي الفداء واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن أبي شامة وابن الطقطقي وحمزة الأصفهاني وأمثالهم؛ لجهلنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا. ولو جئنا نعدد حسنات دواوين الشعر أو كتب الأدب والعلم التي أحيوها لطال بنا المقال[١].

(١) أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة الإسلامية، محمد كرد علي، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٢٧م، ٧/ ٤٥٥.

لقد قام المستشرقون بنشر الكثير من نفائس التراث الإسلامي، نشراً علمياً يسر لنا الانتفاع بهذا التراث. وهذا فضلٌ للاستشراق لا يمكن غض الطرف عنه مهما تكن بواعث المستشرقين في ذلك[١].

وقد تم "جمع المخطوطات منذ حملة نابليون سنة ١٧٩٨م، ومروراً ببعثات ملك روسيا (فريدريش) سنة ١٨٤٢م وسنة ١٨٥٢م إلى البعثات الشخصية، ومن أهم الإنجازات المذهلة ما قام به (ألوارد) من وضع فهرس في عشرة مجلدات لمكتبة برلين للمخطوطات العربية وعددها ١٠٠٠٠ مخطوط"[٢].

ومن اهتمام الاستشراق الإنجليزي بالمخطوطات قيام المستشرق (آرثر جون آربري) عام ١٩٣٦م بنشر فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الديوان الهندي، وكذا فهرس المخطوطات العربية في مجموعة شستر بيتي في دبلن (١٩٦٤ـ ١٩٥٥)[٣].

ومن نماذج تلك المخطوطات العربية التي اعتنى بها المستشرقون وخدموها منذ بداية عصر الطباعة "سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي وكتاب سيبويه والاشتقاق ومعجم الأدباء والكامل للمبرد والجمهرة وغيرها"[٤]

لقد نقل الأوروبيون آلاف المخطوطات من العالم الإسلامي وسلكوا في سبيل ذلك طرق متباينة، وكان مساندهم في ذلك حكوماتهم التي خصصت أموالاً طائلة لذلك، كما خصص هؤلاء ردحاً من أعمارهم في جمعها وخدمتها. وقد كانت فرنسا من أول الدول الأولى التي اهتمت بجمع المخطوطات، وكانت المحاولات الأولى مع (غيوم برستل)، وتقديمها إلى الكنيسة لمعرفة العرب والإسلام ولأسباب تبشيرية، كما أرسل (لويس١٤) رسله إلى جميع بلدان الإسلام لشراء المخطوطات العربية، وزود مبعوثيه بأوامر شريفه إلى جميع القناصل الفرانسوية ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هذه الغاية.

وبعد الثورة الفرنسية نشر (فهرس دوسلان) للمخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس وعددها ٦٥٠ مخطوطة، وبعد حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م

---

(١) الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه، محمد الدسوقي، دار الوفاء، ١٩٩٥، ص ١٤٠.

(٢) المستشرقون وخدمة التراث العربي، عبد العزيز بن سعد الدغيثر، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ١٤٣٩/٢/٢٦ه.

(٣) ينظر: الاستشراق وتحقيق مخطوطات تراثنا العقلي، صايم عبد الحكيم، مجلة الكلمة، المجلد ١٩، العدد ٧٤ (٣١ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٢) ص٦٢-٧٠، الناشر منتدى الكلمة للدراسة والأبحاث، لبنان، تاريخ النشر ٢٠١٢/١٢/٣١م.

(٤) المستشرقون وخدمة التراث، الدغيثر، مرجع سابق.

كانت الحصيلة ما يزيد عن ٣٠٠٠ مخطوطة. وبعد احتلال الجزائر عام ١٨٣٠م كان التوجه أكثر إلى جلب المخطوطات العربية ودراستها، وكانت الجزائر مصدراً خصباً للحصول على المخطوطات.

كما أن للاستشراق الألماني مجهودات في جمع المخطوطات وتحقيقها ونشرها، إذ ارتكزوا على المعرفة المعمقة باللغة العربية بل باللغات الشرقية عموماً، وقد أثبتوا تفوقهم لسبقهم في الاهتمام بالمجال العلمي الإنساني قبل الحرب العالمية الأولى.

ومن أقدم المستشرقين الذين جمعوا بين الرحلة والدرس والتحقيق:

- (ريسكه) الذي يعد من الرعيل الأول للاستشراق، حيث تمكن من نسخ العديد من المخطوطات ونشرها، خاصة بعدما عهد إليه بترتيب مخطوطات مكتبة جامعة ليدن.
- (فلوجيل) الذي قضى ٢٥ عاماً في جمع مخطوطات كتاب الفهرست لـ (ابن النديم) من مكتبات فيينا وباريس وليدن، ولكنه توفي ولم يتم تحقيقه.
- (فيستنفلد) الذي حقق مخطوطات نادرة بخطه الجميل، آثاره تربو على ٢٠٠ مصنف.
- (فيلهلم الفارت) الذي بلغ الذروة بوضعه فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية في ١٠ مجلدات جسيمة، ووصف ما يربو على ١٠ آلاف مخطوط عربي تحوي كنوز الثقافة العربية وصفاً علمياً دقيقاُ.
- (تيودورنودلكه) الذي فاز بجائزة أكاديمة المخطوطات الباريسية في مسابقة موضوعها (تاريخ القرآن).
- (ماكس مايرهوف) الذي له تحقيق (الكاملية في السيرة النبوية) لابن النفيس، كما له تحقيقات لمخطوطات عربية بمقدمات مسهبة وتعليقات مفيدة وقيمة(١).

ومن خلال استعراض بعض المصنفات التي تناولوها جمعاً ودراسة وتحقيق، نبين أنه ليس الهدف استعراضها أو حصرها، بقدر ما الهدف التنبيه إلى جهود المستشرقين في جمع المخطوطات وفهرستها وتحقيق النصوص القديمة وشروحها

(١) ينظر: السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، سعيد المغناوي، أشغال الندوة الدولية التي نظمتها مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة–إيسيسكو، ١٤٣٢هـ–٢٠١١م، ص ١٠٣: ١٠٦.

والعمل على ترجمتها، وبيان دورهم في خدمة التراث الإسلامي من خلال هذه المخطوطات والعمل عليها.

ومن الأعمال المهمة والمتميزة للمستشرقين في خدمة المخطوطات العربية والإسلامية المتنوعة؛ جهودهم الكبيرة في المحافظة على المخطوطات القديمة، من خلال الاتي:

- البحث عن المخطوطات النادرة وجمعها.
- اختيار الأماكن المناسبة لحفظها.
- استخدام الأدوات والأجهزة المطلوبة لمعالجتها وحمايتها من التلف.
- ترميمها ووضعها في قوالب مناسبة لحفظها.
- فهرستها وتكشيفها وترقيمها.
- بذل الأموال الطائلة اللازمة للمحافظة عليها لعقود وقرون من الزمن.

ثانياً: التحقيق والنشر والتأليف.

أ. التحقيق والنشر

اهتم المستشرقون اهتماماً فائقاً بكتب التراث العربي والإسلامي لاسيما كتب المصادر منها لحاجتهم لها في كتاباتهم وكذلك الكتب الشهيرة التي لم تكن قد وجدت النور، فضلاً عن كتب مجالات بعينها اهتموا بها اهتماماً خاصاً؛ مثل كتب التصوف والمتصوفة والفلسفة والأدب وعلم الكلام والفرق الإسلامية بمختلف توجهاتها العقدية والفكرية.

ولا يستطيع منصف أن ينكر أو يتجاهل الدور العظيم والمجهود الكبير لمستشرقين في تحقيق ونشر مئات الكتب النفيسة من ذخائر التراث العربي الإسلامي في شتى العلوم، والتي ما عُرف بعضها إلا من خلال خدمة المستشرقين لها وعنايتهم بها، ومن ثم صارت محط اهتمام العلماء والباحثين في التراث الإسلامي والدراسات العربية والإسلامية.

وقد بُذلت الكثير من جهود المستشرقين في تحقيق التراث الإسلامي والكشف عن الكثير من المخطوطات الإسلامية وتحقيقها ونشرها وترجمة بعضها وعمل الفهارس لها وحفظ المتهالك منها وترميمه، وتطوير منهج نقدي للبحث في التراث الإسلامي نتج عنه إيقاظ الوعي المنهجي لدى المسلمين الذين دفعهم هذا إلى النظر في

الأصول المنهجية والمبادئ البحثية في الكتابات الإسلامية الأولى من أجل تأصيل منهج إسلامي ينافس المنهج الاستشراقي، وقد ساعد هذا الاهتمام المنهجي في الوصول إلى معرفة إسلامية جديدة وقراءة التراث الإسلامي قراءة تحليلية نافعة. كما أن للاستشراق دوره في تحديد مكانة التراث الإسلامي بين تراث الشعوب الأخرى وذلك لاهتمامهم بالمنهج المقارن بين الإسلام والأديان الأخرى وخاصة اليهودية والنصرانية (١).

والجدير بالذكر هنا، أن اهتمامات المستشرقين بنوعية الكتب التي حظيت بعنايتهم تحقيقاً ونشراً، ترجع إلى الخلفية الفكرية والموقف الشخصي لكل مستشرق منهم عن الإسلام والمدرسة الاستشراقية التي ينتمي إليها، وكذلك مجالات بحثه واهتماماته، فبعضهم اهتم بكتب علم الكلام، وبعضهم اهتم بكتب الفلسفة، وآخرين حصروا اهتمامهم بكتب التصوف، وهناك من صب جهده واهتمامه على كتب السيرة النبوية وكتب الحديث، وآخرين التفتوا لكتب التاريخ، ومنهم من اهتم بكتب علوم القرآن.

وكان للتراث الإسلامي في الأندلس موقعه الخاص في اهتمامات المستشرقين، حيث إن غياب الأندلس عن ذاكرة الإنسان العربي، بعد سقوطها في أيدي الإسبان صاحَبَهُ حضور قوي للأندلس والأندلسيين في واقع الأمة الإسبانية، التي تشكّلت في شبه الجزيرة الأيبيرية عقب سقوط غرناطة. وهكذا نشط الاستشراق الإسباني، منذ مطالع القرن التاسع عشر، وظهر التراث الأندلسي لأوائل المستشرقين الإسبان كنزاً ثميناً، فأقبلوا عليه جيلاً بعد جيل، يدرسونه ويقوِّمونه، مقدرين ما ينطوي عليه من الإبداع والمعارف والعلوم. فعدُّوا المخطوطات الأندلسية تراثاً لهم، ولذا أخذوا في ترجمة بعضها إلى الإسبانية ودراستها والاستفادة من مادّتها الغزيرة الأدبية والعلمية، مثل تآليف (ابن الفرضي) و (ابن بشكوال) و (الضبّي) و (ابن الأبّار)، وقد تم تقدير حوالي ٦٢ ألف عنوان أنجز ما بين ١٨٠٠م :١٩٥٠م، كان فقط حول الإسلام والمسلمين". وما تزال إسبانيا تحتفظ بالكثير من المخطوطات العربية في مكتباتها الكبرى كمكتبة الأسكوريا، ومكتبة مدريد الوطنية، ومكتبة جمعية الأبحاث الوطنية(٢).

---

(١) ينظر: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة العاشرة، العدد ١١٦، ١٤١٢هـ–١٩٩١م، ص١٣٧: ١٣٨؛ ينظر: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، محمد خليفة حسن أحمد، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٣٦: ١٣٨.

(٢) ينظر: مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٢، ص ٢٠.

ومن نماذج الكتب التي اهتم المستشرقون بتحقيقها ونشرها: تحقيق ونشر ديتريصي لرسائل إخوان الصفا، والثمرة المرضية من الرسائل الفارابية، وآراء أهل المدينة الفاضلة، وقام هلموت رتر بإصدار مقالات الإسلاميين للشهرستاني، وفرق الشيعة، وغوستاف لبرخ فلوجل قام ببتحقيق ونشر كتاب كشف الظنون عن أسامي الفنون، أما أوغست مولر فقد حقق كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وغير ذلك كثير جداً لا يمكن رصده جميعه في بحث محدود كهذا [١].

ب. التأليف.

لقد قام المستشرقون بتأليف آلاف الكتب عن الشرق التي كانت جلها إضافة كبيرة للثقافة الإسلامية ومكتبة الدراسات العربية والإسلامية، ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين، المرحلة الأولى يرى باحثون كثر احتسابها خلال قرن ونصف القرن منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين بـ ستين ألف كتاب[٢]. أما المرحلة الثانية فتبدأ منذ بداية المنتصف الثاني للقرن العشرين وحتى اليوم، وهذه مرحلة مستمرة متواصلة التأليف والإنتاج المعرفي، تفوق بكثير ما تم تأليفه في المرحلة السابقة، باستثناء أن بعض الكتب الشهيرة والموسوعات والمعاجم كانت في الإطار الزمني للمرحلة الأولى.

ولعل من أبرز المؤلفات الكبيرة التي أنتجها المستشرقون، ما يأتي:

١. دائرة المعارف الإسلامية: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات، وقد صدرت في الفترة ١٩١٣ــ ١٩٣٨م، غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٤٥ــ وحتى عام ١٩٧٧م، واشتملت هذه الدائرة في الطبعتين على (٣٩٣٠) مادةً إسلامية، وقد شارك في كتابتها (٤٨٦) كاتباً من المستشرقين، على رأسهم: (فنسنك، ولويس ماسينيون، ويوسف شخت، وهنري لامنس، ورينولد ألين نيكلسن، ودافيد صموئيل مرجليوث، ودانكن بلاك ماكدونلد، وإجناس جولدتسيهر، وكارل بروكلمان، وكريستيان سنوك هرخرونيه، وماوريس جُودْفروا ديمومبين، وتوماس آرنلد، ورينيه باسيه، وإيفاريست ليفي بروفنسال، وكارل فلهلم زتَرستين، وجورجيو ليفي

(١) ينظر: تفاصيل في ذلك في: الاستشراق وتحقيق المخطوطات، صايم عبد الحكيم، مرجع سابق.

(٢) ينظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، ص ٢١٦.

دلا فيدا، وكارل فولرس، وفرانتس بُوهْل، وياكب بارت) وغيرهم ممن رموز الاستشراق والمؤرخين الغربيين. ولو نظرنا إلى الكتب والمراجع والمقالات التي أُعتمد عليها في كتابة هذه الدائرة لوجدناها بالآلاف.

٢. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف: والذي يشمل الكتب الستة المشهورة، بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداءً من عام ١٩٣٦م إلى سنة ١٩٦١م.

٣. تاريخ الأدب العربي: ل كارل بروكلمان ت ١٩٥٦م، في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها.

٤. المعاجم اللغوية والموضوعية: إن للمستشرقين باعاً طويلاً في مجال المعاجم الموضوعية والقواميس اللغوية، وكان أول قاموس لاتيني ــ عربي ألف في القرن الثاني عشر الميلادين. كما ألف جورج فيلهلم فرايتاج القاموس العربي ــ اللاتيني الذي يستعمل حتى الآن. وبالإضافة إلى عدة قواميس صغيرة من اللغة العربية إلى لغات أوروبية، مثل: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها من اللغات الأوروبية(١).

هذا عن المعاجم والموسوعات، أما كتب الموضوعات العامة المختلفة الفردية، فقد أنتج المستشرقون آلاف الكتب والدراسات في شتى العلوم والمعارف، ابتداءً بما كتبوه في القرآن الكريم، وكذلك كتاباتهم الشهيرة عن الرسول ﷺ ونبوته، وجمع القرآن الكريم والحديث النبوي، والفلسفة والتصوف وعلم الكلام والفرق العقدية والمذاهب الفقهية، فضلاً عما كتبوه في اللغة العربية والأدب والشعر والسير والأعلام والتاريخ والاختلافات الفكرية والصراعات المتنوعة.

بل من هؤلاء المستشرقين من قام بأعمال علمية دينية لم يقم بمثلها مسلم؛ كالمستشرقين الألمانيين (برجشتراسر) و (بريستل) فقد كتبا (مجموعة علوم القرآن) ودونا فيها كل آية في لوح خاص يحوي متنوع الرسم في مختلف المصاحف مع بيان قراءاتها ومتعدد تفاسيرها، ثم نشرا في موضوعها ثمانية كتب من الأمهات لأشهر

(١) ينظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص ٢٦.

علماء الإسلام بعد مضاهاة بعضها ببعض وتحقيقها وفهرستها وترجمة أجزاء منها إلى الألمانية.

كما أنشأ (برجشتراسر) للقرآن متحفاً في جامعة (ميونيخ) أتمه من بعده (بريستل) يضم :

الصور الشمسية لسائر مخطوطاته في أرجاء العالم، وآلاف النسخ من المخطوطات باليد من جميع العصور حتى وإن كانت ورقة واحدة، والمطبوعات الخاصة بتفسيره وعلومه، وجعل لكل آية منه علبه خاصة، مع تفسير كل مفسر لها من عصر الصحابة إلى يومه ذاك.

ومن أشهر المستشرقين الهولنديين (فنسنك) الذي عني عناية فائقة بالحديث النبوي الشريف، ومما صنفه عنه: فهرس ذيل الحديث (١٩١٦-١٩١٨)، وقيمة الحديث في الدراسات الإسلامية (١٩٢١)، ومفتاح كنوز السنة مرتباً على الحروف الأبجدية (١٩٢٧)، وباشر وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن الكتب الستة، ومسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند ابن حنبل.

ومن بعض الكتب المؤلفة في السيرة النبوية باللغات الأوربية:

- كتاب ميلاد الإسلام، من تأليف Ludwig ammann وفيه يجيب الكاتب عن عدة أسئلة منها: كيف يمكن لجماعة أن تستجيب لدعوة فرد بالتوبة.
- كتاب محمد صلى الله عليه وسلم سيرته الطاهرة حسب أقدم المصادر، من تأليف Martin Lings
- كتاب محمد صلى الله عليه وسلم، من تأليف Hartmut Bobzin وفيه يشير الكاتب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم بلا منازع من أكبر رموز العالم تأثيراً في تاريخ البشرية، وأنه ظل في رأي الغرب إلى زمن غير بعيد رجلاً مخادعاً وكاذباً.
- كتاب ميراث محمد صلى الله عليه وسلم، من تأليف Dr Zakai Konrapa وفيه يشير الكاتب إلى أن من أراد أن يستوعب ما يحدث اليوم وسلوك الدرب المناسب؛ يجب عليه تقصي الماضي واستلهام الدروس[1].

---

(١) ينظر: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، ص ١٨: ١٩.

فهناك إذن عدد لا يستهان به من المستشرقين قدموا للفكر الإسلامي والعربي والعلوم الشرعية دراسات وتحقيقات لا يستطيع أي منصف أن ينكر قيمتها وآثارها أو يتساهل في تقديرها اللائق بها.(١)

وليس مهم هنا تصنيف نوعية هذه الكتب واتجاهاتها، ولكن بشكل مؤكد لا تخلو من خير ونفع ظاهر وفائدة كبيرة للغربيين وإن لم تكن نقية –أحياناً– بنسبة ١٠٠%.

ثالثاً: تعلم اللغة العربية وتعليمها والعضويات في مجامع اللغة العربية.

لكي يتمكن المستشرقون من التعامل مع الفكر والتراث الإسلامي بسلاسة ويسر، لا سيما فيما يتعلق بجمعه وتصنيفه وفهمه والترجمة منه وإليه والرجوع إليه في كتاباتهم ودراساتهم؛ فقد عمدوا إلى تعلم اللغة العربية بداية، حتى أتقنها بعضهم بشكل جيد، وأصبحوا بعد ذلك أساتذةً لها في بعض الجامعات والمعاهد والمدارس الاستشراقية في الغرب، إدراكاً منهم لمكانتها العلمية وقيمة الكنوز الثمينة في التراث العربي والإسلامي.

كما إن تمكنهم من اللغة العربية وعلومها؛ فتح لهم المجال للانضمام إلى عضوية المجامع العلمية والجامعات، في مصر والعراق والشام والعديد من الدول العربية، حيث كان "من ضمن ما قام به المستشرقون من أعمال محاولة دخولهم إلى المجامع العلمية العربية وخاصة اللغوية منها، وهي وسيلة من الوسائل التي مكنت المستشرقين من الاتصال المباشر بالعلماء والمفكرين العرب والمسلمين، وساهمت في تسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات"(٢)، فضلاً عن استفادتهم الشخصية بإجادة اللغة العربية واستيعاب قواعدها. "وكمثال على من كان له شرف عضوية هذه المجامع اللغوية العربية نذكر المستشرق هاملتون جب العضو المؤسس في مجمع القاهرة، والدكتور طمسون رئيس المجمع اللبناني العلمي، وكارلو نللينو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولويس ماسينيون عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيضاً،

---

(١) ينظر: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، ص ١٨: ١٩.

(٢) الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-١٩٩٨م، ص ٥٦: ٥٧.

وألفريد جيوم عضو المجمع العراقي، وآسين بلاسيوس الأب عضو المجمع السوري، وهؤلاء نماذج فقط لقائمة طويلة"[1] .

وليس هذا فحسب، بل تطور الاهتمام الاستشراقي باللغة العربية إلى إنشاء بعض المدارس والمراكز الخاصة لتعليم اللغة العربية، وإنشاء الكراسي العلمية في اللغة العربية وعلومها والإشراف عليها ودفع المتعلمين الغربيين إلى تعلم العربية فيها.

لقد حظيت اللغة العربية باهتمام خاص وكبير من قبل المستشرقين، وصار تعلمها ودراستها ثم التدريس بها من أولويات بعض المستشرقين، بل لقد أسرهم سحر اللغة العربية وجمالها وعشقوا فنونها وبلاغتها، ووقفوا منذهلين أمام إعجاز اللغة العربية وتفردها بجماليات خاصة بها لا وجود لها في غيرها، فقد تغنت الألمانية زيجريد هونكه بالعربية قائلةً: " كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟" وقريب من قولها وأقوى منه قال بحق اللغة العربية كلاً من المستشرقين: (إرنست رينان، وجاك بيرك، ويوهان فوك، وليم مرسيه، وكارل بروكلمان، وجوستاف جرونبوم، وجورج سارتون، و ريجي بلاشير)[2].

وكان يوهان ريسكه ١٧٧٤ – ١٧١٦ أبرز مستشرق ألماني أسس الدراسات العربية في ألمانيا، وهو أول مستشرق ألماني وقف حياته على دراسة العربية والحضارة الإسلامية، ورأى أن اللغة العربية يمكن أن تُدرس لذاتها، في فترة لم يكن أحدٌ يهتم بالدراسات العربية. وكان له اهتمام واسع بالشعر العربي، وقد اعتبر نفسه شهيد الأدب العربي، وجاء في ترجمة حياته متحدثا عن المخطوطات " ليس عندي أولاد، ولكن أولادي يتامى بدون أب؛ وأعني بهم المخطوطات"[3].

أما العالم الألماني يعقوب كريستمان (١٥٥٤– ١٦١٣)؛ وضع فهرساً موجزاً لبعض المخطوطات العربية، ووضع كرّاساً لتعليم كتابة الحروف العربية، وترجم أجزاءً من الإنجيل إلى العربية للتمرن على القراءة. وقد أعد بنفسه الحروف العربية في قوالب من الخشب للمطبعة التي كان غوتنبورغ قد اكتشفها حديثاً. وفي عام ١٥٨٥ عُين كريستمان أستاذاً في جامعة هايدلبرج Heidelherg، واقترح إنشاء كرسي

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٧: ٥٨.

(٢) ينظر تفاصيل ذلك في: مستشرقين تغزلوا في سحر اللغة العربية، موقع العين الإخبارية، ٢٠١٨/١٢/١٧.

(٣) http://www.almokhtsar.com/html/news/ ١٩٦٦/٣٠/٩٢٤٥٨php.

للدراسات العربية بها بغية نقل الفلسفة والطب من مصادرها العربية ... ومات كريستمان دون أن يتحقق مشروعه [1].

ومما لا شك فيه ويجده الباحث في الاستشراق بجلاء، أن بعض المستشرقين أيضاً كان لهم موقف سلبي من اللغة العربية، ربما غيرة منها ومن جمالها وتميزها وتفوقها؛ فعمدوا إلى التزهيد في العربية ومحاربة الفصحى وتشجيع اللهجات العامية والشعوبية، بيد أن هذا الموقف الفكري السلبي لم يمنعهم من الاهتمام باللغة العربية وخدمتها وتعلمها واعتمادها مقرراً دراسياً للتعرف على التراث العربي والإسلامي والولوج إليه من خلالها.

رابعاً: الترجمة إلى اللغات الأوربية

في مجال الترجمة، "يعتبر الاستشراق أيضاً مسؤولاً عن ادخال الموضوع الشرقي في الأدب الغربي وفي الفنون الغربية المختلفة. فالأعمال الأدبية والفنية الإسلامية التي ترجمها المستشرقون إلى اللغات الأوروبية تركت أثراً واضحاً على الأدباء والفنانين الذين انبهروا بالموضوعات الأدبية والفنية الشرقية، وزاوجوا بينها وبين الموضوع الغربي في أعمالهم، وقد كان لـ (ألف ليلة وليلة) وغيرها من أشكال القصص الشعبي الشرقي وقصص الحيوان كـ (كليلة ودمنة) أثر واضح في الآداب الغربية"[2].

وقد ظهرت أول ترجمة استشراقيه لمعاني القرآن الكريم باللغة اللاتينية بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام بإيعاز وإشراف رئيس دير كلوني بجنوب فرنسا بطرس المجل ١١٤٣م على يد راهب إنجليزي يدعى روبرت الرتيني وراهب ألماني يدعى هرمان.[3] إلا أن هذه الترجمة لم تظهر إلى حيز الوجود نظراً لخوف الكنسية من تأثيرها في الرأي العام المسيحي إلا في سنة ١٥٤٣م[4].

ثم ترجمت نسخة دير كلوني إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنجليزية والروسية، وهكذا ترجمت معاني القرآن الكريم إلى جميع لغات أوروبا ولغات العالم كلها. ثم بعد ذلك ظهرت ترجمات عديدة لمعاني القرآن الكريم وفق

---

(١) أرشيف ملتقى أهل التفسير، محرم ١٤٣٢ هـ-ديسمبر ٢٠١٠ م، رابط الموقع: http://tafsir.net

(٢) آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، ص١٣٤: ١٣٥.

(٣) ينظر: كيف نفهم القرآن، كامل موسى و علي دحروج، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٢م ، ص١٥٠.

(٤) ينظر: المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٩٠.

المدارس الاستشراقية المهتمة بالترجمة والتي صدرت عن كل مدرسة منها عدة ترجمات، واهمها: المدرسة الاستشراقية الإسبانية، والمدرسة الاستشراقية الألمانية، والمدرسة الاستشراقية الفرنسية، والمدرسة الاستشراقية الإنجليزية، والمدرسة الاستشراقية الإيطالية.(١)

كما أن المستشرق آربري وهو من بورتسميث في بريطانيا ألف أكثر من ١٠٠ مؤلف في مجالات عدة أهمها الأدب العربي ومقارنة الأديان والدراسات الإسلامية واتخذ في ترجمته للقرآن مواقف في غاية الايجابية منها على سبيل المثال اعترافه بأن القرآن الكريم وحي من قوة خارقة وأن الرسول محمد تلقاه وحيا» مفنداً مزاعم المستشرقين (آرغوليوث) و (جب) أن القرآن هو كلام محمد.

ولا شك في أن القرآن الكريم اليوم هو أكثر الكتب قراءة في العالم كما تشير الاحصاءات الببليوغرافية إلى ترجمته حتى عام ٢٠٠٢ إلى ٨٩٠ ترجمة لازدياد الرغبة في معرفة القرآن الكريم.

وفي دراسة نقدية صدرت حديثاً في مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية (جامعة الكويت) بقلم الدكتور عبدالله الخطيب ورد أن ترجمة آربري تعد من أهم الترجمات لأن لها قبولاً حسناً في أوساط المثقفين الغربيين لاسيما أنها تتميز بـ «دقة الأسلوب الأدبي» بفضل العلم الغزير الذي بلغه هذا المستشرق في اللغتين الانجليزية والعربية. وقال إن ترجمة آربري تتميز عن الترجمات الاستشراقية الأخرى بالإنصاف تجاه مصدرية القرآن والنبوة المحمدية ناهيك عن خلوها من الافتراءات المغرضة بشأن مزاعم «تأليف الرسول للقرآن». وفي تصريح صحافي قال آربري: «القرآن تحفة أدبية خالدة ليس لها مثيل في أي لغة أخرى» قبل أن يؤكد أنه «يوجد ترابط عجيب بين آيات القرآن الحكيم». وتقع الترجمة في ٦٧٤ صفحة من القطع المتوسط في مجلد واحد بغلاف ورقي وتضم فهرساً للمحتويات تتبعه مقدمة للمترجم ثم يأتي النص المترجم من دون نص القرآن وفي آخر الترجمة يوجد فهرس عام للكلمات المهمة

---

(١) ينظر: تفاصيل ذلك في: ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها، شاكر عالم شوق، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد ٤ ديسمبر ٢٠٠٧م.

وأسماء الأعلام والأماكن. ويقسم آربري الآيات المترجمة إلى مجموعات، لهذا فهو لا يعطي كل آية رقمها، بل يرقم كل خمس آيات على حدة[١].

ولم تقتصر ترجمات المستشرقين على معاني القرآن الكريم فحسب، بل توسعت ترجماتهم لعدد كبير من الكتب والمصنفات في شتى العلوم والفنون والآداب، على أن ترجماتهم لم تكن ارتجالية أو عشوائية إنما مدروسة بعناية ومحددة بدقة. وبشكل أو بآخر فإن الترجمة كانت من أعظم نتاج الدراسات الاستشراقية، التي نقلت الثقافة العربية والإسلامية إلى الأمم والشعوب الأخرى.

ولستُ هنا في بحثي المحدود هذا معني ببيان الدوافع الحقيقة الظاهرة والخفية لترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم، ولا استقصاء منهج المستشرقين في ترجمة معاني القرآن، إنما الاكتفاء بالإشارة السريعة إلى أن المستشرقين بذلوا جهوداً جبارة وواضحة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى أغلب لغات العالم، وخدموا القرآن الكريم خدمة عظيمة استفاد منها كثيرون في الشرق والغرب وإن افتقدت تلك الترجمات إلى الدقة والنقاء التام، بيد أن تلك الترجمات بعموها قد قدمت خدمة جليلة وعظيمة لكثير من نتاج التراث العربي والإسلامي، حيث أخرجته إلى حيز الوجود، وجعلته بمتناول الجميع، بما فيهم غير الناطقين بالعربية والذين كانوا هم الأكثر إفادة من هذه الترجمات التي قدمت لهم بعض كنوز التراث العربي والإسلامي بلغاتهم الأصلية، وهذا بحد ذاته كان عاملاً قوياً ومساعداً لهم في تسهيل مهمة اطلاعهم على التراث العربي وقراءتهم لما أرادوا منه ومما كانوا يبحثوا عنه، وبالتالي تحققت لهم من وراء ذلك فوائد عدة، في مقدمتها اقتناع بعضهم بالإسلام ودخولهم فيه.

كل هذه التأثيرات التي ذكرتها مختصره، هي نتيجة لقيام المستشرقين بترجمة الأعمال الإسلامية المختلفة، والبحث فيها، ونشرها في بيئتهم، الأمر الذي ساعد على التعريف بالإسلام وحضارته من ناحية، وإثراء الفكر الغربي بنقده وتصحيحه، ومده بموضوعات جديدة وأشكال أدبية وفنية لم يعهدها مكنته من تطوير آدابه وفنونه وإثراءها.

هذا هو الوجه المشرق للاستشراق وإن كان محدوداً وفرعاً من أصل غالب سلبي في بعض المجالات؛ إلا أنه وجه مختلف لفئة من المستشرقين وجهت وجهودها

(١) http://www.almokhtsar.com/html/news/١٩٦٦/٣٠/٩٢٤٥٨.php

لخدمة (الحقيقة العلمية) في حياد وجلد وسعة أفق، بعيداً عن روح التعصب والحقد والتحامل الأعمى على الإسلام والقرآن الكريم والنبي محمد ﷺ والعربية والعروبة.

المبحث الثاني: إنصاف الإسلام

في خضم اهتمامات المستشرقين الواسعة بالإسلام وكتاباتهم الغزيرة فيه والتي غلب عليها -كما مر سابقاً- التشكيك بالإسلام والطعن فيه، ظهرت أيضاً الدراسات الاستشراقية المنصفة التي توزع إنصافها على جوانب عديدة، لعل أبرزها ما يأتي:

أولاً: إنصاف القرآن الكريم.

مع أن الظاهر في كتابات المستشرقين والغالب عليها التشكيك بالقرآن الكريم والطعن في الوحي، واتهام القرآن الكريم بأنه مستقى من ديانات وحضارات وفلسفات قديمة ومن الشعر الجاهلي، وشبهات كثيرة امتلأت بها الدراسات الاستشراقية؛ إلا أن هذا لم يمنع من ظهور أصوات منصفة وكتابات قيمة أعطت القرآن الكريم حقه وأقرت بمصدره الإلهي وصدق كل ما فيه.

ولعل من أبلغ الأقوال للمستشرقين المنصفين بحق القرآن الكريم ما يأتي:

- يقول المستشرق (آرثر أبري): "عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي"(١).
- ويقول غوته: "إن أسلوب القرآن محكم مثير للدهشة... فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي" ولاحقاً أعلن (غوته) أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد. وفي يوم أبصر (غوته) ريشة طاووس بين صفحات القرآن فهتف: " مرحباً بكِ في هذا المكان المقدس، أغلى كنز في الأرض"(٢).
- وفي ديوانه (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يقول (غوته): "هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولتلتقي كلمة الحق منزلة من الله

---

(١) حتى الملائكة تسأل، جيفري لانغ، ص ٢٠٦.

(٢) كاتارينا مومزن، نقلاً عن جوته والعالم العربي، ص ١٧٧: ١٨٨؛ ٢٦١.

بلسان أهل الأرض"، ويضيف: "القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله"(١).

- وتقول المستشرقة الألمانية (أنا ماري شميل) في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لـ (مراد هوفمان): "القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة؟".
- ويقول الأمريكي (مايكل هارت): "لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحزير سوى القرآن"(٢).
- ويقول المستشرق (بارتلمي هيلر): "لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله: (والله يعصمك من الناس) صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته"
- ويقول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن: " القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية" ويقول: " القرآن وحي من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة"(٣).
- ويقول الكونت (هنري دي كاستري) في كتابه: (الإسلام سوانح وخواطر): أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مطالعته للتوراة والانجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعه واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته(٤).
- (آربري) الذي دافع بقوة عن فصاحة القرآن وجماله وإعجازه رد على من أنكر ذلك من الغربيين مثل توماس كارليل ووصمه بالوحشية لعدم تذوقه بلاغة القرآن وعدم فهمه لنصوصه.

---

(١) نقلاً عن كتاب: كيف نتعامل مع القرآن الكريم، نيبا أيوب، ص ٢٥.

(٢) ورد قوله هذا في كتابه: المائة الأوائل.

(٣) القرآن دليل المسيحيين، بول شفارتسنا، نقلاً عن يوميات مسلم ألماني، مراد هوفمان، ص ١٢٢.

(٤) ينظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، دعوة الحق– سلسلة شهرية، ص ٣٤، ٣٥.

ومن مواقفه الإيجابية الأخرى أنه يصحح فكرة خاطئة وشائعة عند الغربيين هي «عدم ترابط القرآن» وأنه «مرقع ترقيعاً فوضوياً» مثبتاً خلاف ذلك وهو «أن الآيات في كل سورة مترابطة في خيوط من الايقاع المرن ووحي واحد متوافق داخليا ًإلى أعلى درجات التوافق». كما يقر المستشرق آربري بتأثير القرآن النفسي على الإنسان حيث يؤكد تأثره بالقرآن تأثراً ايجابياً موضحاً أن القرآن الذي نقرأه اليوم هو نفسه الذي جمع في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنه «لم يحرف ويبدل»(١).

وقد أكدت الدكتورة (لورا فيشيا فاغليري) معجزة القرآن البلاغية والإخبارية في سوره وآياته بقولها: إن معجزة الإسلام العظمى هي (القرآن) الذي ينقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلال أنباء تتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته، ... إن آياته على مستوى واحد من البلاغة، وهو يتنقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً، وهما صفتان لا تجتمعان عادة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد وهو العربي الأمي(٢).

ومثل هذه الأقوال المنصفة للقرآن الكريم توجد غيرها مئات الأقوال لمستشرقين كثر سطروها في دراساتهم، وقد أثمرت شهادات المستشرقين المنصفة للقرآن الكريم في تأثيرها بأعداد كبيرة من الباحثين والمفكرين الغربيين، الذين انطلقوا من هذه الأقوال في كتابات لهم أنصفوا بها القرآن وأشادوا به وأبدوا إعجابهم به ومدى تأثرهم به.

ثانياُ: إنصاف الرسول ﷺ ونبوته.

تنوعت مواقف المستشرقين من الرسول ﷺ إلى حد التناقض، بيد أن القاسم المشترك بينها كلها، تتمثل في إنصافه وتعظيمه وإعلاء شأنه والاتفاق على تفرده في مزاياه، بما فيها تلك المواقف التي نزعت عنه صفة النبوة واستبدلتها بصفة أخرى بشرية غير مرتبطة بالوحي الإلهي، حيث "تميزت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام في نظر المستشرقين بمزايا عديدة، وقد درس كل منهم هذه المزايا أو بعضها

(١) http://www.almokhtsar.com/html/news/١٩٦٦/٣٠/٩٢٤٥٨php.

(٢) ينظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ص ٣٨، نقلاً من كتاب: الإسلام والثقافة العربية، ص ٣٠٥.

من وجهة نظره الخاصة، فبعضهم عد محمداً صلى الله عليه وسلم قائداً وزعيما، وبعضهم جعله في مصاف المصلحين الاجتماعيين ورائداً من روادهم، وآخرون رأوا أنه أحد عباقرة العالم الذين يندر أن يحظى العالم بمثله، ولا زلت أتذكّر أثناء دراستي في مرحلة الدكتوراه وصف مونتغمري وات لرسولنا الكريم ﷺ -في إحدى محاضراته بقسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بجامعة أدنبره- عندما اعترضنا عليه بسؤالٍ أن ما جاء به عيسى ومحمد يخرج من مشكاة واحدة، فردّ علينا بأن ما جاء به محمد بسبب أنه رجل مُلهم. والقلة منهم من أبرز شخصيته كرسول، وأقل منهم من وصفه على أنه نبي أوحي إليه بالإسلام"(١).

وتعدد وجهات النظر الاستشراقية هذه لا تدل على عظمة هذه الشخصية في نظرهم وحسب، إنما تدل أيضاً على تكامل هذه الآراء لتعبر عن شخصية الرسول ﷺ أنه (المثل الكامل الأعلى) والكمال لله وحده(٢).فقد كفانا الله الحديث في هذا حين وصف نبيه ﷺ بالشخصية الإنسانية الكاملة حين قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم:٤

ومن هنا يعجب المستشرقون أشد الاعجاب حين لا يجدون في شخصية الرسول ﷺ ما وجدوه في شخصيات أُخر امتلأ التاريخ الحديث عنها إكباراً وتقديراً، ومن ثم فقد دفعهم هذا إلى إبراز مثل هذه النواحي الإنسانية المتفوقة، ومنها:

١. تفوقه ﷺ في الذكاء والتدين والرأفة، فقد وصفه بارتلي سانت هيلر بأنه "أكثر عرب أهل زمانه ذكاءً وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة، وأنه نال سلطانه الكبير بفضل تفوقه، وأن دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده كان جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته"(٣).

٢. تجرده ﷺ من حب العظمة، يقول في ذلك أرفنج: "كان يكره إذا دخل على جماعة أن يقوموا له، ويُبَالغ في الترحيب به، وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة هي دولة الإسلام"، ويقول:"كان الرسول في كل تصرفاته منكراً ذاته، رحيماً، بعيداً عن التفكير في الثراء والمصالح المادية، فقد ضحى بالماديات في سبيل الروحانيات"(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) ينظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ص ٢٣: ٢٦.

(٣) الإسلام والثقافة العربية، أنور الجندي، ص ٢٣٤.

(٤) من كتاب حياة محمد، ر. ف بدلمى، ص ٩.

٣. تبرؤه ﷺ من التبعية المحمدية، فيقول أرفنج أيضاً: وكذلك فلا يُجيز الرسول أن يسود على حساب نسبة المسلمين عليه، كما فعل أصحاب الديانات السابقة اللذين نسبوا إلى أسماء أنبيائهم، ولم يستعمل محمد وأتباعه أبداً عبارة (محمدي) أو (المحمدية)، فعلى الرغم من توقيرهم لزعيمهم فقد كان محمد المخلص يُعرض عن هذه التسمية دوماً"(١).

٤. التزامه ﷺ بالصدق والتواضع، وفي هذا يقول دوزي: "لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى، وتتلو أحدها الأخرى، وما بال انتصارهم على الشعوب لا يقف عند حد، وكيف لا يدل ذلك على معجزة الرسول"، ويقول رينان: "كان محمد بريئاً من روح الكبرياء متواضعاً، صادقاً أميناً، لا يحمل المقت لأحد، وكانت طباعه نبيله وقلبه طاهراً رقيق الشعور".

٥. تفوقه ﷺ في صفات إنسانية عديدة، يقول في ذلك غوستاف لوبون: "كان محمد شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، صموتاً، حازماً، سليم الطويلة، وكان صبوراً قادراً على احتمال المشاق، بعيد الهمة، لين الطبع وديعاً، وكان مقاتلاً ماهراً، فكان لا يهرب أمام الأخطار، ولا يلقي ببدنه إلى التهلكة، وكان يعمل ما في الطاقة لإنماء خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه"

وما من تعقيب على هذه الأقوال إلا أنها غيض من فيض، وشذرات عطرة من سيرته الشريفة توفرت القناعة لدى المستشرقين على إبرازها لا للإعجاب بها وحسب ولكن لرد شبهات وطعون يجترئ على طرحها مستشرقون حاقدون معادون(٢).

وبقدر تركيز المستشرقين في دراساتهم على شخص النبي صلى الله عليه سلم سلباً، أيضاً نال نصيبه من دراسات المستشرقين وأقوالهم إيجاباً وإنصافاً ودفاعاً عنه وعن نبوته. ومن أشهر مقولات المستشرقين عنه وعن نبوته، ما يأتي:

- يقول توماس كارلايل عن النبي محمد ﷺ في كتابه (الأبطال): "ويزعم المتعصبون من النصارى الملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وأيم الله، لقد كان في فؤاد هذا الرجل الكبير ابن القفار الفلوات

---

(١) من كتاب حياة محمد، ر. ف بدلمى، ص ٢٩٨.

(٢) ينظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ص٢٧.

العظيم المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة، أفكـاره غيـر الطمـع الـدنيوي، ونواياه خلاف طلب السلطة والجاه، لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله. لقد أخرج الله العرب بالإسلام مـن الظلمـات إلـى النور، وأحيا من العرب أمة هامدة وأرضاً مواتاً"[١]

- يقول المستشرق الإسباني جان ليك: "لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧، كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق"[٢].
- وأما المستشرق بوسورث سميث: فلم يستطع أن يلخص حياة النبي ﷺ بجملة واحـدة فقال : "إنه لمن المستحيل لأي شخص درس حياة محمد العربي العظيم وشخـصيته، وعرف كيف عاش وكيف تعلم، إلا أن ينحني لهذا الرسول المبجل القوي، الذي هـو واحد من أعظم رسل الله. ومهما أقل لكم؛ فإني سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميـع، ولكن حينما أعيد قراءتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب، أشعر بمـشاعر جديـدة من الاحترام والتبجيل لهذا المعلم العربي العظيم"[٣].
- ويقول إرنست رينان: لـ بُشرى زخاري ميخائيل: "لقـد دلتنـي تحريـاتي العلميـة والتاريخية على أنه لا صحة مطلقاً لما أريد إلصاقه بالنبي محمد من كـذب وافتـراء مصدرهما بعض المباينات العرفية، والعادات القومية، التي أراد بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفي سقام أذهانهم الوقحة، وتعصبهم الذميم.. مـع أن محمداً وكما أثبتت الوثائق التاريخية، وشهادات أكابر علماء التاريخ كان على العكس من ذلك؛ بريئاً من روح الكبرياء، متواضعاً، أميناً، لا يحمل الحقـد لأحـد، وكانـت طباعه نبيلة، وقلبه طاهراً، ورقيق الشعور"[٤].
- ويقول المستشرق آرثر جيلمان: "لقد اتفق المؤرخون على أن محمداً كان ممتازاً بـين قومه بأخلاق جميلة؛ من صدق الحـديث، والأمانـة، والكـرم، وحـسن الـشمائل،

---

(١) ينظر، محمد الإنسان والرسول، توماس كارليل، فصل: البطل في صورة الرسول، الأبطال، توماس كارليـل، ١٨٤٠م؛ وآثـار التبـشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الـسنة العاشـرة، العـدد١١٦، ١٤١٢هـــ-١٩٩١م، ص١٧.

(٢) في كتابه: العرب، ص ٤٣.

(٣) في كتابه: محمد والإسلام، ص ٩٢.

(٤) في كتابه: تعليقاتي على تواريخ الأديان، نقلاً عن كتاب محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل، ص ٤٩.

والتواضع ... وكان لا يشرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً "[١].

- ويقول المستشرق كارل بروكلمان: "لم تشبْ محمداً شائبة من قريب أو بعيد؛ فعندما كان صبياً وشاباً عاش فوق مستوى الشبهات التي كان يعيشها أقرانه من بني جنسه وقومه"[٢] .
- ويقول المستشرق الفرنسي د. وايل: "إن محمداً يستحق كل إعجابنا وتقديرنا كمصلح عظيم، بل ويستحق أن يطلق عليه لقب (النبي)، ولا يُصغى إلى أقوال المغرضين وآراء المتعصبين، فإن محمداً عظيم في دينه وفي شخصيته، وكل من تحامل على محمد فقد جهله وغمطه حقه"[٣].
- ويقول المستشرق البلجيكي القسيس هنري لامنس: "جاء محمد بقلب خالٍ من كل كذب، ومن كل ثقافة باطلة، ومن كل فخفخة فارغة، وأمسك بكلتا يديه العروة الوثقى"[٤].
- ويقول المستشرق الألماني كارل هينرش بكر: "لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر، لأنه لم يفهم دينه السامي، إن محمداً جدير بالتقدير، ودينه حريٌّ بالاتباع، وليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال"[٥].
- ويقول المستشرق الألماني غوته: "لقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان؛ فوجدته في النبي محمد"[٦].
- ويقول المستشرق رودلف دتوراك: "ولا يجوز لنا أن نفند آراء محمد؛ بعد أن كانت آيات الصدق بادية عليها، فهو نبي حق، وأوْلى به أن يُتّبع، ولا يجوز لمن لم يعرف شريعته أن يتحدث عنها بسوء، لأنها مجموعة كمالات إلى الناس عامة"[٧].

---

(١) في كتابه: الشرق، ص ١١٧.

(٢) نقلاً عن كتاب: محمد في الآداب العالمية المنصفة، محمد عثمان عثمان، ص١١٠.

(٣) في كتابه: تاريخ الخلفاء.

(٤) في كتابه: مهد الإسلام، ص ٨٠.

(٥) في كتابه: الشرقيون، ص ١٦٠.

(٦) نقلاً عن كتاب: شمس الحضارة تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ص٤٦٥.

(٧) في كتابه: حياة وشعر أبي فراس الحمداني، ص ١٣.

- ويقول المستشرق الكندي جيبون: "إن دين محمد خالٍ من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله.. ومن يتهم محمداً أو دينه، فإنما ذلك من سوء التدبير، أو بدافع العصبية، وخير ما في الإنسان أن يكون معتدلاً في آرائه، ومستقيماً في تصرفاته"(١).
- ويقول المستشرق الألماني دي تريسي فريدريك: "إن من اتهم محمداً بالكذب؛ فليتهم نفسه بالوهن والبلادة وعدم الاطلاع على ما صدع به من حقائق"(٢).
- ويقول عالم اللاهوت السويسري دكتور هانز كونج: "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعدُ إنكارُ أن محمداً هو المرشد القائد على طريق النجاة"(٣).
- ويقول المستشرق سينرستن: "إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات، وحميد المزايا.. لقد أصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ"(٤).

والمسلم المنصف لا يستطيع أن ينكر جهود مستشرق مثل (ديرمنغم)، وآخر مثل (دينه) في السيرة والسنة، أو (توماس أرنولد) وخاصة كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام).
وهناك عدة دراسات عربية قامت برصد إنصاف الدراسات الاستشراقية للرسول ﷺ ونبوته وسيرته وعظمته وأخلاقه وبيان مزاياه(٥).

ثالثاً: الإشادة بمحاسن الإسلام والدفاع عنه.

إذا أراد الباحث المنصف إنصاف المستشرقين في الجانب الإيجابي والمشرق لمواقفهم وأقوالهم ودراساتهم الاستشراقية؛ وجب عليه الوقوف على بيان بعض المستشرقين لمحاسن الإسلام ودفاعهم عنه، والذي يتضح بجلاء مهمها كان قليلاً ومحدوداً قياساً على الأصل في عموم الدراسات الاستشراقية، المتمثل بانتقاص الإسلام والتشكيك به، وعليه ينبغي التأكيد على أن بعض المستشرقين المنصفين –سواء من

---

(١) في كتابه: محمد في الشرق ص ١٧.

(٢) في كتابه: مقولات أرسطو طاليس.

(٣) نقلاً عن كتاب: الإسلام نهر يبحث عن مجرى، شوقي أبو خليل، ص ١٥.

(٤) في كتابه: تاريخ حياة محمد، ص ١٨.

(٥) منها على سبيل المثال: الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة، محمد شريف الشيباني؛ وآليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، حسن عزوزي، ٢٠٠٧م، مطبعة آنفو برانت، فاس، ص ٦٨: ٨٥.

الذين أسلموا فيما بعد أو الذين لم يسلموا- جاء على ألسنتهم عبارات الإنصاف بالاعتراف بالإسلام كدين أو الدفاع عنه بإظهار محاسنه.

وأقوال المستشرقين المنصفة للإسلام المبينة لمحاسنه كثيرة جداً، والمختار منها هنا غالبه لمستشرقين غير مسلمين، باستثناء قلة قليلة من الذين أسلموا تم إضافة بعض أقوالهم المنصفة، ولعل من أبرز تلك الأقوال المنصفة والمبينة لمحاسن الإسلام، ما يأتي:

- يقول المستشرق الكندي (جيبون) الذي : "إن دين محمد خالٍ من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله.. ومن يتهم محمداً أو دينه، فإنما ذلك من سوء التدبير، أو بدافع العصبية، وخير ما في الإنسان أن يكون معتدلاً في آرائه، ومستقيماً في تصرفاته"[(١)].
- أما المستشرق الأمريكي (جون إسبوزيتو) فقد كتب كثيراً في بيان محاسن الإسلام والدفاع عنه، وترجمت أعماله إلى ٢٨ لغة، منها: الإسلام والتنمية، والإسلام الطريق المستقيم، ومستقبل الإسلام، ومن يتحدث باسم الإسلام[(٢)]. وفي أحد كتبه أوضح فيه السبب الذي جعله يسعى لتأليفه، وهو محاولة فهم الصراع من أجل الإصلاح الإسلامي، وإعادة اكتشاف روح الإسلام، وكافة أشكال التعدد الدينية والثقافية والسياسية بين المسلمين، في مواجهة التحديات في الدول الإسلامية والغرب[(٣)]. وفي كتاب آخر له، ذكر فيه أن الهدف من تأليفه، هو تمكين القارئ الغربي المعبأ ضد الإسلام، من فهم الإسلام بصورة متوازنة، وتصويب نظرته وتبديد مخاوفه الموهومة[(٤)].
- المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة) لها جهود كبيرة ورائعة وأقوال منصفة في بيان محاسن الإسلام والدفاع عنه، من ذلك تعريفها للإسلام بأنه: "دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها منذ بدء الخلق، بمعنى أنه عهد الله المطلق إلى خلقه غير

(١) في كتابه: محمد في الشرق، ص ١٧.

(٢) ينظر تفاصيل ذلك في البحث المكمّل لدرجة الماجستير لتلميذنا الأستاذ سلمان بن محمد العطوي: (دور المستشرق الأمريكي جون إسبوزيتو في معالجة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين)، غير منشور، جامعة طيبة، المدنة المنورة، ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

(٣) ينظر: مستقبل الإسلام، جون إسبوزيتو، ص ٢٣.

(٤) ينظر كتابه: من يتحدث باسم الإسلام، ص١.

مرتبط بزمان، والذي أرسل به – ديناً واحداً لا يتبدل – إلى أقوامهم كافة"[١]. وفي موضع آخر تقول: "الإسلام أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحةً وإنصافا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة بأن تلطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل البحت به، فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو"[٢].

- ويؤكد المستشرق البريطاني (هاملتون جب) في كتابه دراسات في حضارة الإسلام: أن التعاليم الاجتماعية التي جاء بها محمد في أساسها إعادة لإحقاق المبادئ الأخلاقية التي تشترك فيها ديانات التوحيد[٣].
- يقول المستشرق المسلم ناصر الدين دينيه (الفونس إيتيان دينيه): بعد أن عَقَدَ عِدة مقارنات بين الإسلام والمسيحية في موضوعات تتعلق بالألوهية والصلاة والتسامح والعلم، انتهى به المطاف إلى أن أعلن رسميًّا إسلامه عام ١٩٢٧م، فمما ورد في مقاراناته هذه عن الألوهية قوله: "الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يُتخذ فيه الإله شكلاً بشريًّا أو ما إلى ذلك، ولم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته أو ينحته أزميله؛ لأن الله لم تكن له صورة ولا حدود محصورة، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد لم يكن له كفوًا أحد، أما في المسيحية فإن لفظة (الله) تحيطها تلك الصور الآدمية لرجل طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة، وكذلك (يا هو) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي، فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر. ومن أقواله أيضًا: "إن تأثير الإسلام على النفس يسمها بطابع لا يُمحى"[٤].
- يرى المستشرق الفرنسي (دي ساسي) أنه لا يوجد دين في العالم مثل الإسلام في شموليته وحيويته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

---

(١) في كتابها: الله ليس كذلك، ص ٣٨.

(٢) ينظر في هذا القول وغيره من أقوالها: زيغريد هونكه وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية، أحلام صابر سحلة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

(٣) الوجه الآخر للمستشرقين (شهادات عالمية أنصفت الإسلام)، أحمد فوزي سالم، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، في ٥ شعبان ١٤٣٨هـ.

(٤) لماذا أسلم هؤلاء؟، محمد عزت الطهطاوي، ص٦٦.

- يقول المستشرق النمساوي (جوزيف أوبرمان) في كتابه مهد الإسلام: الإسلام هو النظام المثالي الفريد الذي يحتاج إليه العالم في عصرنا الحاضر.
- يقول المستشرق الإيطالي (ميشيل آماري) في كتابه تاريخ المسلمين في صقلية: لقد جاء محمد نبي المسلمين بدين إلى الجزيرة العربية يصلح أن يكون ديناً لكل الأمم، لأنه دين كمال ورقي، دين دعوة وثقافة، ودين رعاية وعناية، لا يجوز لنا أن ننقصه أو نعيبه.
- ويقول المستشرق الإسباني (أريك بنتام) في كتابه الحياة: إن الإسلام وتعاليم رسوله الكريم قد تأصلت في نفوس المسلمين وأوجدت فيهم مناعة ضد قبول أي دين آخر، وميزة الإسلام الفريدة تعود إلى أنه لا يرضى أن يكو هناك شريك لله ... ولذلك فإن الإسلام هو دين الوداعة والوفاق والصدق والأمانة، فلو أنصفنا أنفسنا لوحدنا صفوفنا مع المسلمين، ولنبذنا ما فينا من عصبية عمياء أوجدها لنا ذوو المطامع اللاهوتية وسنها لنا من دفعت به شهواته للحيد عن الطريق القويم. إن استمرار حقيقة ما عبر القرون وخلودها فيما بعد برهان على صلاحيتها، وأن ديمومة دعوة من الدعوات من الغابر السحيق إلى الحاضر الواقع ثم إلى المستقبل القريب والبعيد، وإقبال الناس للتمسك بها، والالتزام بشعاراتها برهان متمم له، وما من دعوة يتزايد الناس على الإيمان بها ومحبة بجوانبها وتضحية في سبيل إذاعتها، ومنطلقاً ذاتياً لنشرها، ورغبة متزايدة ونفسية للجهاد في إبلاغها مثل دعوة الإسلام.

ويؤكد على هذا البرهان (آتين دينيه) إذ يرى أن نفراً من النصارى في مختلف الأقطار الأوروبية دانوا بالإسلام في الأعوام الأخيرة... ويكثر عددهم على مر الأيام.

_ ويعجب (كارليل) من مروجي الكذب على الإسلام فيقول: فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع، ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها ألا توجد[١].

---

(١) ينظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ص ٤٢، نقلاً من كتاب: أوروبا والإسلام، ص٤٥.

_ ويقول المستشرق المسلم محمد أسد (ليوبولد فايس) بعد أن أُعجب كثيرًا بما شاهده من سمو في الأخلاق الإسلامية، وبساطة في العقيدة وصدق فيها، ومن خلال معاملاته مع المسلمين أراد أن يتعرف على الإسلام من خلال الاطلاع على منهجه وتعاليمه، الأمر الذي دعاه إلى إعلان إسلامه عام ١٩٢٦م وتغيير اسمه إلى محمد أسد: " إن هذا الإيمان أتى عبر السنوات بدون بذل أي مجهود"(١).

_ ويقول (مراد هوفمان) في شرحه للإسلام: إنه يتفق مع المسيحية في الدعوة إلى الفضائل؛ مثل: الأمانة، والتقوى، والإيثار، والإخاء، ويختلف في أن المسلم يصلي لله مباشرة ويتعامل مع الله دون كهنوت، ويحرِّم أكل الخنزير والمسكرات، ولا يسقط المسؤولية عمن يرتكب خطأً، وهو تحت تأثير الخمر أو المخدرات، وتحافظ الصلوات الخمس بما فيها من خشوع وتأمل على الصحة النفسية للمسلم، ولم يحرِّم الإسلام الجنس على أحد من المسلمين، بل أمر بالزواج، وحرم العلاقات خارج الزواج، فهو دين لا يؤدي إلى كبت الغريزة ولا يسمح بالإباحية، ويؤكد الإسلام: أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وبأن كل إنسان مسؤول عن نفسه فقط، لا يرث الخطيئة ممن سبقوه، ولا يورثها لمن بعده، وحساب الله لكل إنسان على حدة ولا ينفع الأب ابنه أو الابن أباه في يوم الحساب، بل إن الإسلام يدعوه إلى مراعاة الأهداف الاجتماعية، بحيث يكون المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ويشدد على مسؤولية المسلم عن والديه وجيرانه أيضًا(٢). وما ذكره هوفمان عن الإسلام يكشف عن عقلية غربية مستنيرة لا تتحدث إلا بعد دراسة كل جوانب الإسلام من مصادره الأصلية.

وفي هذه عشرات الأقوال والشهادات من جمع من المستشرقين أبرزوا محاسن الإسلام ودافعوا عنه بكل تجرد وإنصاف، وكان لشهاداتهم هذه وقعها وأثرها في العالم أجمع(٣).

---

(١) نبوة محمد، نقلًا عن: le chemin de la –Note de l'auteur

(٢) المنصفون للإسلام في الغرب، ص ١٠٩، نقلًا عن : الإسلام كبديل، مراد هوفمان.

(٣) يمكن الرجوع لكل هذه الأقوال المنصفة وغيرها للدراسات العلمية والبحثية التي أفردت للمستشرقين المنصفين فضلاً عن كتب المستشرقين أنفسهم ومراجع أخرى مشار إليها في هذا البحث.

رابعاً: ظهور المستشرقين المنصفين.

وهذا بُعد إيجابي مهم للاستشراق والدراسات الاستشراقية، حيث إن المنصفين من المستشرقين كانوا ثمرة من ثمار الاستشراق والدراسات الاستشراقية المتعلقة بالإسلام، عاد أثرهم على الاستشراق نفسه وعلى الثقافة الغربية المتعلقة بالإسلام، بل وعلى المتغربين من أبناء المسلمين المتأثرين بالمتعصبين من المستشرقين. وهؤلاء المنصفون أخذوا الإسلام من مصادره العلمية الصحيحة وتاريخه النقي بمنهجية علمية سليمة وموضوعية، فقد عرفوا الإسلام معرفة خاصة؛ فكانوا له منصفين وعنه مدافعين، حيث بحثوا في الإسلام بتجرد ونزاهة وموضوعية، بعيداً عن المؤثرات الكنسية والاستعمارية والسياسية والحقد الصليبي، حيث رموا بذلك كله خلف ظهورهم ويمموا وجوههم وعقولهم نحو نشدان الحقيقة ولا شيء سواها، فحالفهم التوفيق والسداد.

قد يقول قائل ويعترض معترض، أن الأصل في الاستشراق والمستشرقين والدراسات الاستشراقية، معاداة الإسلام وانتقاصه والطعن فيه وفي قرآنه ونبيه وشريعته وفق الأهداف المعروفة للاستشراق المعلنة منها والخفية!! أقول: نعم هذا صحيح ومتفق عليه، بيد أن النقاط المشرقة للمنصفين من المستشرقين مهما قل عددهم قياساً على الحاقدين، هي من الأبعاد الإيجابية للدراسات الاستشراقية لا ينبغي تجاهلها، فهي الخير مقابل الشر.

كما أن من الإنصاف المطلوب ديناً وأخلاقاً ومنهجاً؛ إنصاف المستشرقين المنصفين للإسلام دون غمط لهم، وإبراز جهودهم ومواقفهم ومنهجهم وكتاباتهم وأقوالهم، لاسيما تلك التي واجهوا بها المستشرقين المتعصبين والحاقدين على الإسلام المتحاملين عليه وتفنيد مغالطاتهم ودحض شبهاتهم، فكانت ردودهم هي الأبلغ تأثيراً في العقول الأوروبية والمؤسسات الغربية والتي كانت قد تشبعت بالأطروحات المسيئة للإسلام الطاعنة فيه.

وبالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً في ثالثاً، هناك جمع كبير من المستشرقين المنصفين، منهم:

١. المستشرقة الإيطالية (لورا فيشيا فاغليري) لها كتاب بعنوان: (الإسلام) وآخر بعنوان (دفاع عن الإسلام).

٢. المستشرق السويسري (روجيه دو باسكويه) له كتاب بعنوان: (إظهار الإسلام).
٣. المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) لها عدة كتب، منها: (شمس العرب تسطع على الغرب) وكتاب (الله ليس كذلك).
٤. المستشرق البريطاني (توماس أرنولد) له كتاب بعنوان: (الدعوة إلى الإسلام).
٥. المستشرق البريطاني (بودلي) له كتاب بعنوان: (حياة محمد).
٦. المستشرق البريطاني (جون أروكس) له كتاب بعنوان: (عظماء التاريخ).
٧. المستشرقة الألمانية (أنّا ماري شيمل) لها كتاب بعنوان: (وأن محمداً رسول الله)، نُشر باللغة الألمانية ثم ترُجم إلى بالإنجليزية.

المبحث الثالث: ردة الفعل الإيجابية للاستشراق.

يغفل كثيرون وهم بصدد نقد الاستشراق والتحذير من مخاطره عن رصد ردة الفعل الإيجابية المترتبة على الدراسات الاستشراقية، والتي ومما لا شك فيه وإن خفت قليلاً لكنها بارزة بوضوح للمتابع الحصيف والباحث المتمكن والقارئ المنصف، ولعلي هنا ومن مجمل قراءاتي الغزيرة للكثير من الدراسات الاستشراقية، وتدريسي في قسم الاستشراق للعديد من المواد الاستشراقية في مجالات متعددة، فضلاً عن إشرافي على العديد من الأبحاث العلمية لطلاب الدراسات العليا وكذا أبحاث التخرج لطلاب مرحلة البكالوريوس؛ أقف وقفات موجزة على جوانب من ردة الفعل الإيجابية التي ارتأيتها:

أولاً: تفاعلات العقل العربي والمسلم مع الدراسات الاستشراقية.

حيت إن من الواضح بجلاء أن الدراسات الاستشراقية الغزيرة اللافتة للانتباه المثيرة للجدل المتنوعة في مضامينها، سواءً القليل منها المنصف للإسلام أم الكثير منها المتحامل عليه المشكك به وبحضارته؛ لاشك أنها قد أشغلت العقول وحركت الأفكار وخلقت جدلاً كبيراً وحراكاً علمياً وثقافياً واسعاً في المحيط العربي الإسلامي، لاسيما في أوساط العلماء والمفكرين والباحثين وطلاب العلم، فصدرت آلاف الكتب والمؤلفات والأبحاث والدراسات العلمية المتفاعلة مع الاستشراق والمستشرقين والدراسات الاستشراقية، والتي شملت كل نتاج المستشرقين العلمي المتنوع.

وقد ظهر علماء عرب ومسلمين كبار من مختلف الأقطار خصوصاً في النصف الأول من القرن الميلادي العشرين، تصدوا للاستشراق وأصدروا المؤلفات العلمية القوية المفندة له بمجمل أطروحاته، والتي تم فيما بعد ترجمة الكثير منها إلى

اللغات الأوروبية. وتوالت الكتابات والدراسات العلمية والفكرية تباعاً وبغزارة كبيرة حتى يومنا هذا، حيث أصبح بعض المفكرين والباحثين من أهل التخصص في الاستشراق والدراسات الاستشراقية، وإليهم يشار بالبنان.

ولعبت الجامعات العربية والإسلامية دوراً كبيراً في هذا الصدد منذ وقت مبكر ومازال دورها حتى اليوم يشتعل جذوة وحيوية ونشاطا، حيث خلقت الدراسات الاستشراقية ردة فعل علمية وفق منهجية البحث العلمي، لجأ من خلالها أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا إلى تمحيص الدراسات الاستشراقية وغربلتها والرد على كل شاردة وواردة فيها دفاعاً عن الإسلام وذب عن حياضه.

وتطور الأمر إلى عقد ندوات ومؤتمرات في عدد من الجامعات والمراكز العربية والإسلامية، بل فتح قسم أكاديمي متخصص في الاستشراق لمرحلتي الماجستير والدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والذي انضم لجامعة طيبة بالمدينة المنورة عام ١٤٢٥هـ، وكذلك إدخال الاستشراق في المقررات الدراسية في كل المراحل الدراسية الجامعية، وجعل المواضيع العلمية المتعلقة بالاستشراق والمستشرقين من أولويات البحث العلمي في أقسام الدراسات الإسلامية واللغة العربية والتاريخ والحضارات، ولعل الجامعات السعودية من أكثر الجامعات العربية التي تشهد حراكاً واسعاً متعلقاً بالاستشراق، وإني أرى نفسي وإخوتي في قسم الاستشراق شهود هذا الحراك.

ولولا أن هذا البحث محدود الصفحات لسردت قوائم متعددة تشتمل على مئات الكتب والمؤلفات والدراسات والأبحاث الجامعية المكتوبة باللغة العربية، التي سبرت أغوار الاستشراق وناقشت كل صغيرة وكبيرة فيه وكل شاردة وواردة وأشبعته بحثاً ورداً وتفنيدا، كما أنها أسهمت في توضيح مدارس الاستشراق وفق بلدانه ومواصفات مستشرقي كل مدرسة من تلك البلدان أو أنواعه من متحامل متعصب أو موضوعي منصف.

وقد توزعت تلك التفاعلات العلمية والبحثية العربية المتعلقة بالاستشراق في المسارات الآتية:

١. الردود على مطاعن المستشرقين بالقرآن عليه والتشكيك به.
٢. الردود على تشكيك المستشرقين بنبوته ﷺ.

٣. الدفاع عن شخص الرسول ﷺ والذب عنه.
٤. إبطال ادعاءات المستشرقين وأباطيلهم حول العقيدة الإسلامية.
٥. دحض الشبهات والمزاعم التي أثارها المستشرقون حول الإسلام.
٦. الدفاع عن الشريعة الإسلامية وإثبات أن مصلحة الخلق فيها.
٧. بيان محاسن الدين الإسلامي وجوانبه المشرقة.
٨. تصحيح أخطاء المستشرقين في نتاجهم العلمي المتعلق بالإسلام.
٩. بيان الخلط الذي وقع فيه المستشرقون في كثير من المسائل والقضايا.
١٠. الوقوف على الخلفية التاريخية والاستعمارية للاستشراق.
١١. رصد بواعث الاستشراق العقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية.
١٢. تتبع الجوانب المشرقة للدراسات الاستشراقية التي ظهر الإنصاف فيها.
١٣. الحوارات العلمية والفكرية مع المستشرقين حول أطروحاتهم المتجنية على الإسلام.
١٤. الثناء على المستشرقين الذين أسلموا وتشجيعهم على التمسك بالإسلام.
١٥. حركة الترجمة لكتب لبعض كتب المستشرقين الجديرة، والترجمة من أجل الرد عليهم.
١٦. تصحيح اختلالات المنهج العلمي والبحثي للمستشرقين في دراساتهم وبيان مثالبه.
١٧. بيان الخلفيات الفكرية للمستشرقين ومناهجهم في دراسة الإسلام وحضارته.
١٨. تفنيد المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المستشرقون في دراستهم للإسلام.

فضلاً عن هذا كله، فهناك عمل علمي مهم وكبير كان إحدى أهم ردات الفعل على العقل العربي والمسلم في هذا الباب؛ وهو ما قام به العلماء والمفكرين والباحثين العرب والمسلمين، من تأصيلٍ علميٍ عظيم وفق منهجية بحثية معتبرة ورصينة، للكثير من المسائل والقضايا والجوانب؛ لمواجهة الدراسات الاستشراقية وإفحامها وإسقاط ادعاءاتها ودحض شبهاتها المثارة ضد الإسلام.

ثانياً: دحض افتراءات المستشرقين ومطاعنهم بالإسلام.

وهذه ردة فعل مهمة وعظيمة للدراسات الاستشراقية، حيث إن افتراءات المستشرقين ومطاعنهم بدين الله تعالى، حرّك العقول وأثار الأفكار وفجر الطاقات

العلمية وشحذ الهمم العالية وفتح باباً واسعاً للبحث العلمي والتمحيص والتدقيق والبحث والتحري ومن ثم الرد الشافي والبيان الكافي على كل ما تقوله المستشرقون وخطته أناملهم وسجلته أقلامهم وطبعته مطابعهم ومؤسساتهم.

وسيقتصر حديثي هنا على سرد عام واستعراض مجمل لنماذج مختارة من بعض أفكار المستشرقين وبعض ما تناولته الدراسات الاستشراقية حول الإسلام، والتي استدعت أن ينبري لها أهل العلم والفكر والبحث والدراية بالرد العلمي المدعم بالحجج المعتبرة والأدلة العقلية الناصعة والنصوص الشرعية القطعية التي يصعب على العقول المنصفة ردها أو تكذيبها[1].

أولاً: في المجال العقدي.

١. الطعن في عقيدة المسلمين الصحيحة.
٢. أدعاء بعضهم أن صفات الله هي من اختراع النبي ﷺ.
٣. تمجيد أهل الضلال والزيف والباطل والابتداع.
٤. إبراز الانحرافات والضلالات والبدع على أنها من العقيدة الإسلامية.

ثانياً: حول القرآن الكريم.

١. الطعن في القرآن الكريم المصدر الأول والأساس للإسلام.
٢. إنكار أن يكون القرآن كلام الله ومنزل من عنده سبحانه وتعالى.
٣. ادعاء بعضهم وجود تناقضات في القرآن الكريم.

ثالثاً: حول الوحي والنبوة.

١. إنكار نبوة الرسول محمد ﷺ واتهام النبي بالكذب.
٢. الطعن في حقيقة الوحي والتشكيك به.
٣. نسب كل ما جاء به النبي إلى الأديان والحضارات والثقافات السابقة.
٤. الطعن في أخلاق النبي والافتراء على حياته وسمعته.
٥. اتهام الرسول ﷺ بالشهوانية.
٦. التشكيك في صحة الحديث النبوي وصدق رواته.

---

(١) ينظر حول رصد تلك المطاعن والمزاعم والشبهات والافتراءات والردود عليها في مئات الكتب والأبحاث والدراسات العلمية التي امتلأت بها مكتبة الاستشراق العربية. وبين يدي الباحث الآن مكتبة رقمية الكترونية في الدراسات العربية المتعلقة بالاستشراق تتكون من ٣٨٥ كتاب جلها تعرضت لما تم الإشارة إليه هنا، وكان لي الفضل بعد الله في فكرتها.

رابعاً: حول السيرة النبوية والصحابة والتاريخ الإسلامي.

١. تشويه السيرة النبوية وتلفيق مالم يحدث فيها.
٢. الطعن في صحابة رسول الله ﷺ.
٣. تشويه التاريخ الإسلامي والاعتماد على الروايات الشاذة والضعيفة والمكذوبة.

خامساً: حول الإسلام.

١. إثارة الشبهات حول مكانة المرأة المسلمة وحقوقها.
٢. اتهام الإسلام باستخدام القوة والسيف والعنف والإرهاب.
٣. ادعاء ظلم الإسلام لغير المسلمين من أتباع الديانات الأخرى
٤. إتهام المسلمين بعدم قبول الآخر غير المسلم.
٥. الطعن في الشريعة الإسلامية وأحكامها
٦. الطعن في العقوبات والحدود الشرعية.

وكذلك، الطعن في اللغة العربية ومحاولة إحياء اللهجات المحلية والقومية(١).

وما سبق غيض من فيض وقليل من كثير مما أثاره المستشرقون وامتلأت به الدراسات الاستشراقية حول الإسلام من اتهامات ومزاعم وشبهات وافتراءات ومطاعن؛ مما ولد ردة فعل إيجابية لدى أعداد هائلة من العلماء المسلمين والمفكرين والمثقفين والباحثين، فانبروا للدفاع عن الإسلام ودحض ما تداولته الدراسات الاستشراقية، وبيان محاسن الإسلام وإبراز صورته النقية كما أنزل من عند رب العالمين.

وطبيعي جداً أن مئات الآلاف من تلك الأبحاث والدراسات والمؤلفات العربية والإسلامية التي امتلأت بها المكتبة العربية والإسلامية، قد تولت بجدارة واقتدار ونجاح مهمة إسقاط كل تلك المزاعم الاستشراقية، ودحض كل هذه الشبهات بالحجة والمنطق والبيان، وابتدأت مهمتها بمناقشة منهج المستشرقين المختل ونقد مراجعهم التاريخية

(١) ينظر: مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، خالد بن عبدالله القاسم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ؛ وموجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ؛ مقالة الطعن في الدين الإسلامي عند المستشرقين، أمجاد الربيعة، منشور في الشبكة العنكبوتية يوم ٢٦صفر١٤٣٦هـ.

التي رجعوا إليها والطعن في مصادرهم وبيان سوءات منهجهم العلمي والبحثي الذي انطلقوا منه في كتاباتهم الطاعنة بالإسلام والمفترية عليه.

فوق ذلك قد أفادت من جانب آخر لا يقل أهمية عن الدفاع عن الإسلام، حيث خلقت جواً علمياً ثرياً ومنهجاً بحثياً رصيناً، بالإضافة إلى سعةِ أُفقٍ عقليةٍ ونضجٍ فكري وشمول معرفي وتنوع ثقافي وامتزاج حضاري، واكتساب مهارات البحث العلمي والتفكير المنطقي والحوار المثمر والمناظرة القوية والمجادلة المبصرة؛ وقَطَفَ ثمار ذلك كله العقل العربي والمفكر المسلم والباحث الغيور على دينه.

ثالثاً: التأثير الإيجابي للفكر الإسلامي وعلومه التطبيقية على الغرب.

مما لا شك فيه أن الفكر الإسلامي وعلومه التطبيقية والذي تم ترجمته ونقله إلى الغرب؛ قد ترك أثراً إيجابياً كبيراً وواضحاً على الفكر الغربي وعلومه، لا سيما ما كان من نتاج الحضارة الإسلامية في أوّج ازدهارها وعطاءاتها العلمية في بعض العلوم والفنون، فقد كان للمعرفة الإسلامية دور في إثراء المعرفة الغربية، حيث "إن الاستشراق مسؤول عن نقل المعرفة الإسلامية والشرقية عامة إلى الغرب الذي أفاد من هذه المعرفة؛ حيث عكف المستشرقون على ترجمة النصوص الأساسية في الديانات، وأيضًا ترجمة النصوص العلمية في العلوم عند المسلمين، وعند أهل الشرق، وهي العلوم التي كانت أساساً في النهضة العلمية في الغرب، وهذا يعني أن الاستشراق مسؤول عن نهضة الغرب العلمية، وله إسهاماته في تقدم العلم في الغرب من خلال النصوص الشرقية والإسلامية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية قبل عصر النهضة"[(١)].

ويمكن إجمال ذلك التأثير في الآتي:

- استفاد الغرب من منهجية البحث العلمي لدى المسلمين في مختلف العلوم والفنون، والتي تقوم على النظر العلمي والتفكير العقلي وتمحيص الأدلة والتحري والتثبت وفق المعطيات والمقدمات، بما يؤدي إلى كمال الوصول إلى الحقيقة العلمية.
- استفاد الغرب من الفلسفة الإسلامية في أبعادها العقلية والمنطقية، وكان تأثر العلماء الغربيين بالفلاسفة العرب والمسلمين كبيراً.

(١) تأثيرات الاستشراق، د. أنور محمود زناتي، شبكة الألوكة الإسلامية، بتاريخ ٢١/٤/ ١٤٣٤ه- ٤/٣/ ٢٠١٣م، رابط الموضوع: https://www.alukah.net/culture/٠/٥١٢٤٧/#ixzz٦ova٧K٤m٨

- تأثر الغرب كثيراً بالأدب العربي، وظهر ذلك جلياً في اهتمامات المستشرقين الواسعة بالأدب العربي وجمعهم لبعضه ودراسته وانعكاسه على الثقافة الأدبية الغربية.
- كان للعلوم الطبيعية والتطبيقية المتعددة التي اهتم بها المستشرقون وترجموها ونقلوها إلى الغرب أثرها الفاعل في تطوير التأسيس الغربي لهذه العلوم والبناء عليها والانطلاق منها، بل تجلى التأثير في ابتزاز وسرقة بعض تلك العلوم من أصولها العربية والإسلامية ونسبتها للغرب، والشواهد في هذا المقام كثيرة لا مجال لسردها.
- تأثر الغرب تأثراً إيجابياً بالمنهج النقدي عند المسلمين الذي أسهم الاستشراق في ترجمته ونقله، فالاستشراق "أيضًا مسؤول عن تطور المنهج النقدي العقلي في الغرب، وبخاصة في مجال الدين، فقد أفاد المستشرقون وغيرهم من علماء الدين في الغرب من المادة والنصوص الدينية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية؛ ومن أهمها: ترجمات معاني القرآن الكريم، والكتابات الإسلامية في تاريخ الأديان، ونقد الكتب المقدسة، وبخاصة اليهودية والنصرانية، وترجمة النصوص الكلامية والفلسفية، ولا سيما النصوص ذات الاتجاه العقلاني؛ مثل: النصوص الاعتزالية، وأعمال الفلاسفة مثل الفارابي، والكندي، وابن سينا، وقد أثر بعض هؤلاء في الفكر الغربي تأثيراً مباشراً؛ مثل ابن رشد، الذي أصبحت له مدرسة غربية تسمى: "المدرسة الرشدية"، وينتمي أتباعها من الفلاسفة الغربيين إلى فلسفة ابن رشد ومنهجه"(١).

رابعاً: دراسات المستشرقين النقدية لإخوتهم من المستشرقين.

من الأمور التي لا تخفى على العاملين في حقل الدراسات الاستشراقية وجود دراسات نقدية من قبل بعض المستشرقين لإخوتهم من المستشرقين فيما يتعلق بالعديد من الصور النمطية المسيئة التي تبناها وقام على نشرها الكثير من المستشرقين في دراساتهم فيما يخص الإسلام ونبيه و حضارة المسلمين، وقد ازدادت ظاهرة "النقد الذاتي" عند المستشرقين في الدراسات الاستشراقية الحديثة (الاستشراق الحديث)، حيث توجهت هذه الدراسات –وإن كانت لا تقارن بحجم وكثرة الدراسات الاستشراقية

(١) تأثيرات الاستشراق، المرجع السابق.

المسيئة للإسلام والمسلمين- لنقد بعض الصور النمطية السائدة في الأوساط الغربية والتي أصبحت من مسلمات اعتقاداتهم فيما يخص الإسلام وأتباعه.

إن الدراسات الاستشراقية المسيئة للإسلام وأهله حقاً قد دفعت مجموعة من المستشرقين الموضوعيين للنظر والبحث والتحقيق في هذه الدراسات، وأياً كان السبب وراء ذلك فلا شك بأن هذا النوع من الدراسات الاستشراقية الناقدة لدراسات المستشرقين يعد بحق من الأبعاد الإيجابية للعمل الاستشراقي في تصحيح تلك الأفكار المغلوطة التي عاشها ويعيشها الكثير في المجتمعات الغربية.

وتزداد مكانة هذه الإيجابية عندما ندرك الأثر الفاعل القوي لهذه الدراسات الناقدة لأخواتها، فدراسة واحدة من هذه الدراسات المنصفة القائمة على المنطق وتقصي الحقائق والأدلة تُربك جيلاً من المستشرقين وأتباعهم من السياسيين والأدباء والمفكرين الذين انغمسوا في تلك التصورات الخاطئة عن الإسلام ونبيه وأتباعه، بل وقد تحظى عند الكثيرين بالقبول والتأثير في الأوساط الغربية أكثر من دراسات المسلمين أنفسهم التي غالباً لا يلتفت إليها إلى فيما ندر.

ومن هؤلاء الذين اتجهوا لجانب "النقد الذاتي" للآراء الاستشراقية، نذكر منهم: هنري ستوب، وماركس مولر، وتوماس آرنولد، ولويس ماسينيون، آرثر جون آربري، ويوهان فوك، وموريس بكاي، وزيغريد هونكه، وأنا ماري شيمل، ومونتقمري وات، وفريد هاليداي، وفريتش شتيبات، وديفيد كنج، وأليكسي جوارفسكي، ولزلي ماكلوكلن، ويوسف فان أس، وجون إسبوزيتو، وكارن أرمسترونج، وغيرهم كثير.

وبسبب محدودية صفحات هذا البحث سأقتصر على ذكر شاهدين[١] من هذه الدراسات الناقدة لأخواتها -والتي تمثل جانباً من جوانب الأبعاد الإيجابية للدراسات الاستشراقية-، وهما: المستشرق آربري والمستشرقة كارن أرمسترونج.

الشاهد الأول: المستشرق آرثر جون آربري

يُعد آرثر جون آربري أحد أهم مستشرقي القرن العشرين، درس العربية على يد أستاذه رينولد ألن نيكلسون سنة ١٩٢٧م، فأثّر فيه تأثيراً كبيراً، وعُيّن في كلية

(١) رغم علمنا الأكيد بأن بعض هذه الشواهد قد لا تخلو من تبنيها لبعض الأفكار الخاطئة -التي لا نتفق معها- بسبب التكوين العقدي والخلفيات الفكرية لأصحابها. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن بعض هذه الأفكار الخاطئة قد تراجع عنها أصحابها، حتى كارين أرمسترونج نفسها تقول في كتابها: (الله والإنسان)، في الصفحة العاشرة: "دراستي لأديان العالم على مدى العشرين عاماً الأخيرة أجبرتني على مراجعة آرائي المبكرة". وهذا هو حال بعض المستشرقين عودتهم عن آرائهم السابقة ولو بشكل محدود أحياناً.

الآداب بالجامعة المصرية -جامعة القاهرة الآن- رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليوناني واللاتيني)، وإبان زيارته في مصر استطاع أن يزور فلسطين ولبنان وسوريا ليجمع مواداً لأبحاثه المقبلة. وفي عام ١٩٤٦م أصبح أستاذاً للعربية والدراسات الشرق أوسطية بجامعة كامبرج، وما أشرف على نشره من كتب وصل زهاء المئة كتاب، وسبعين على هيئة مقالات، في مجالات عدة، أبرزها: الأدب العربي، ومقارنة الأديان، والدراسات الإسلامية.

اجتهد آربري في تقديم الشرق إلى الغرب بترجمة كتب عربية وفارسية وتأليف كتب وأبحاث لتفهيم الأوروبيين حقيقة الإسلام: حضارته وآدابه وعقيدته. يقول آربري في هذا الصدد: "قبل أن يتيسر إقرار الحق عن الشرق وشعوبه في الضمير المشترك للغرب، ينبغي إزالة حشد هائل من الباطل وسوء الفهم والأكاذيب المتعمدة. وإنه لجزء من واجب المستشرق ذي الضمير الحيّ القيام بهذه الإزالة. لكن لا تدعه يحسب أن هذه المهمة سهلة أو أنها خصوصاً سيلقى عنها الجزاء".

انصبت جهود آربري على إنصاف الإسلام ومصادره، وعدّ الجهل عدواً حقيقياً لفهم الإسلام في أبعاده الكونية. وفي أوائل الخمسينات، قام آربري بترجمة القرآن الكريم في مجلدين، وطافت شهرة ترجمته لتميزها بدقة أسلوبها الأدبي، وسهولة تقبلها من الغرب في وقت كانت الأفكار الخاطئة هي السائدة عن حضارة الإسلام. وهذا ما أكدته دراسة عبدالله الخطيب النقدية في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت أن ترجمة آربري تعد من أهم الترجمات؛ لأن لها قبولاً حسناً في أوساط المثقفين الغربيين، لاسيما أنها تتميز بدقة الأسلوب الأدبي بفضل العلم الغزير الذي بلغه هذا المستشرق في اللغتين اللإنجليزية والعربية[1]. كما أشارت الدراسة إلى أن ترجمة آربري تتميز عن الترجمات الاستشراقية الأخرى بالإنصاف تجاه مصدرية القرآن والنبوة المحمدية، ناهيك عن خلوها من الافتراءات المغرضة بشأن مزاعم تأليف الرسول للقرآن[2].

(١) لايعني هذا عدم وقوع آربري في بعض الأخطاء كغيره من علماء المسلمين، انظر: دراسته لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (القرآن مترجماً) للمستشرق الإنجليزي آرثر ج. آربري، د. هيثم عبدالعزيز ساب، رابط:

https://d١.islamhouse.com/data/pdf-viewer/web/viewer.html?file=https://d١.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single٨/ar_Derasa_English.pdf

(٢) ينظر: موسوعة المستشرقين لعبدالرحمن بدوي، ص ٨:٥؛ موقع: الموسوعة العربية، عمار صندوق، رابط: http://arab-

وتبرز أهمية مواقفه الإيجابية ومقارعاته لأجيال من المستشرقين ونقده لهم في مجالات عدة، نختار منها مجالان فقط لضيق المقام، هما: القرآن الكريم والحديث الشريف:

أولاً: القرآن الكريم:

لم يكتفِ المستشرق آربري بترجمة القرآن الكريم، بل أعطى رأيه فيه، وأدلى بدلوه، ونقد المستشرقين من خلال التالي:

- اعترافه بأن "القرآن الكريم وحي من قوة خارقة وأن الرسول محمد تلقاه وحيا" مفنداً مزاعم المستشرقين وعلى رأسهم آرغوليوث و جب في أن القرآن هو كلام محمد.
- دفاعه المستميت عن فصاحة القرآن وجماله وإعجازه وبلاغته رداً على من أنكر ذلك من المستشرقين مثل توماس كارليل، ووصمه بالوحشية لعدم تذوقه بلاغة القرآن وعدم فهمه لنصوصه. بل ويزيد من لمزه لهم بقوله: "إن بلاغة القرآن وإعجازه وفصاحته التي هي في عظمتها كالمحيطات ستكون محجوبة عن بعض النقاد المستشرقين الذين ارتبكوا في طموحهم الكبير لسبر أغوار القرآن بقواعدهم الجامدة"(١).
- تصحيحه لفكرة شائعة عند المستشرقين الذين يروجون إلى "عدم ترابط آيات القرآن الكريم"، وأنه "مرقع ترقيعا فوضويا"، بتأكيده: "أن الآيات في كل سورة مترابطة في خيوط من الإيقاع المرن ووحي واحد متوافق داخلياً إلى أعلى درجات التوافق".
- بيانه للمستشرقين بأن القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو نفسه الذي جمع في عهد الخليفة عثمان بن عفان وأنه "لم يحرف ويبدل"،وهذا بحد ذاته رد على جمهرة من المستشرقين المتعصبين الذي لا يرون ذلك.

---

ency.com.sy/detail/١٩٥٦؛ موقع البيان، آرثر جون آربري.. الأميركي المتصوّف، رابط: -https://www.albayan.ae/our homes/٢٠١٠-٠٩-٠٧-١,٢٨١٠٤٥?ot=ot.AMPPageLayout؛ موقع: ملتقى أهل التفسير، مستشرق بريطاني: القرآن كلام الله تلقاه النبي من قوة خارقة، الدكتور أحمد بن محمد البريدي، بتاريخ: ٠٨/٠٧/٢٠٠٨م.

(١) نقلاً عن: دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (القرآن مترجماً) للمستشرق الإنجليزي آرثر ج. آربري، د. هيثم عبدالعزيز ساب، ص ٦:٧.

- إشادته بالقدرة الإلهية التي أنزلت الوحي على النبي محمد ﷺ بقولـــه "أحمـــد تلـــك القدرة الإلهية التي أنزلت الوحي على ذلك النبي محمد الذي كان أول من تلا آيات القرآن الكريم".
- تقريبه لصورة القرآن الكريم في أذهان المستشرقين بنشره آيات مختارة من القرآن الكريم تحت عنوان "القرآن المقدس".
- إقراره "بتأثير القرآن النفسي على الإنسان، وتأثيره تأثيراً إيجابياً".
- تصريحه الذي تحدى فيه المستشرقين بقوله: "القرآن تحفة أدبية خالـــدة لـــيس لهـــا مثيل في أي لغة أخرى"[١].

ثانياً: الحديث الشريف

لعلها أول محاولة اتجهت لدراسة الحديث النبوي لها أهميتها –وربمـــا تكـــون آخرها– هي ما قام به المستشرق ذائع الصيت أغناس غولتسيهر الذي نشر نتيجة بحثية سنة ١٨٩٠م بعنوان: دراسات إسلامية، وأصبح كتابه في دائرة الاستشراق منـــذ ذلـــك الوقت حتى الآن "إنجيلاً مقدساً" "يهتدي" به الباحثين. وبعد مضي ستين عاما بالتقريـــب على نشر ذلك الكتاب نشط البروفسور شاخت، وأمضى وقتاً غير قليل، بل ربمـــا كـــان أكثر من عشرة أعوام –كما قيل– في البحث والتنقيب في معـــادن الأحاديـــث الفقهيـــة، ونشر نتيجـــة "بحوثـــه" فـــي كتابـــه الـــشهير *The Origins of Muhammadan Jurisprudence* وخلاصة ما وصل إليه من نتائج أنه ليس هناك حديث واحد صـــحيح وخاصة الأحاديث الفقهية. وصار هذا الكتاب منذ ذلك الحـــين "انجـــيلاً ثانيـــاً" لعـــالَم الاستشراق، وفاق شاخت سلفه غولتسيهر حيث غير من نظرته التشكيكية فـــي صـــحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها.

ولقد ترك كتابه هذا أثراً عميقاً في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية، حتى تنبأ البروفيسور جب قائلاً: "إنه –يعني كتاب شاخت– سيكون في المـــستقبل أساســـاً لكافـــة الدراسات عن الحضارة الإسلامية والتشريع، وعلى الأقل في الغرب".

---

(١) ينظر: دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (القرآن مترجماً) للمستشرق الإنجليزي آرثر ج. آربري، مرجـــع ســـابق، ص ٨:٥؛ موقع: ملتقى أهل التفسير، مستشرق بريطاني: القرآن كلام الله تلقاه النبي من قوة خارقة، الدكتور أحمد بن محمـــد البريـــدي، بتـــاريخ: ٢٠٠٨/٠٧/٠٨م؛ موقع البيان، آرثر جون آربري.. الأميركي المتصوّف، رابط:
https://www.albayan.ae/our-homes/٢٠١٠-٠٩-٠٧-١,٢٨١٠٤٥?ot=ot.AMPPageLayout

وكافة الباحثين في الغرب أثنوا على كتاب شاخت ثناءً عاطراً، وأولــوه مــن الاهتمام أكثر مما يستحق، لكن ما منحوه من مدح وثناء لم يكن صــادراً عــن نظــرة فاحصة مدققة للمنهج الذي سار عليه شاخت، ولم يقارنوا النتائج التــي توصــل إليهــا بالنصوص التي أعتمد عليها في دراسته، لمعرفة ما مدى المطابقة بينهما ليعرف بــذلك مقدار ما تتمتع به تلك النتائج من صحة أو بطلان.

وبسبب دراسة شاخت وسلفه غولتسيهر وجهت سهام الطعن إلى السنة النبويــة من قبل مختلف الأشخاص ومن الزوايا المتعددة، وتناول كل فريق مــنهم جانبــاً مــن جوانبها المختلة:

- فمنهم من أخطأ في تفسير السنة.
- ومنهم من طعن في حجية السنة وقيمتها التشريعية.
- ومنهم من ادعى تأخر كتابة الأحاديث إلى قرن أو قــرنين، وبالتــالي لايمكــن الاعتماد عليها.
- ومنهم من أثار الارتياب في الأسانيد وقيمتها العلمية.
- ومنهم من أنكر كثرة الأحاديث.
- ومنهم من شكك في المجوعات الحديثية مثل صحيح البخاري وغيره.

ولقد تجمعت هذه الأفكار جلها –إن لم تكن كلها– فتجسدت في كتابات "شــاخت" الــذي "اكتشف" بعد بحث مضن أنه ليس هناك حديث واحــد صــحيح وخاصــة الأحاديــث الفقهية.(١)

وقد أخضع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي –في اطروحته لدرجة الدكتوراه التي تقدم بها إلى جامعة كمبرج عام ١٩٦٧م– استنتاجات شاخت ومصادره التي اعتمد عليها للدراسة والتدقيق، وتبين له معارضة نتائجه الشديد لنتائج شــاخت، كمــا أثبتــت الدراسة وجوه الضعف والخلل في دراسة شاخت وأن منهجه لم يكن منهجاً علمياً. وهنا نجد البروفسور آربري يقدم دراسة الأعظمي في نقد شاخت وغيره مــن المستــشرقين بهذ المقدمة المنصفة:

---

(١) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، مقدمة الكتاب من صــفحة (ي) إلــى صــفحة (م) (بتــصرف واختصار).

"لاشك أن أهم مجالات البحث فيما يتعلق بدراسة الحديث هو الكشف عن تلك المجموعات الصغيرة من الأحاديث السابقة على المجموعات الست (الكبرى) المعتمدة: البخاري، ومسلم، وبقية (الكتب) الستة، وتحقيقها وبيان صحتها .

وفي هذا المجال، فإن الدكتور الأعظمي قد قام بعمل رائد بلغ الذروة في قيمته، وقام بهذا العمل على مقتضى الأقيسة الصحيحة للبحث العلمي. وإن الرسالة التي قدمها، والتي منحته جامعة كامبردج من أجلها درجة الدكتوراه في الفلسفة، لهي في اعتقادي من أروع التحقيقات العملية التي قدمت في هذا المجال في العصر الحديث، ومن أكثرها أصالة".(١)

وبدون أدنى شك؛ بأن إقرار البروفسور آربري بأصالة ودقة "دراسة الأعظمي" وثناءهُ العطر عليها، ليمثل الغاية في نقد أعمدة الاستشراق وتلامذتهم في الغرب –على مدار أكثر من قرن– في مجال الحديث النبوي.

الشاهد الثاني: المستشرقة كارين أرمسترونج

آرمسترونج كاتبة أكاديمية بريطانية من أصل إيرلندي، متخصصة في علم الدين المقارن، متكلمة ذات شعبية واسعة وتأثير كبير، ساعدت في بناء وجهة نظر معتدلة إلى حد ما نحو الإسلام من قبل جمهور عريض في أوربا وأمريكا، ألّفت العديد من الكتب التي تُرجمت إلى خمس وأربعين لغة، وكتيب أرمسترونج: (الإسلام المتعاطف) بيع منه أكثر من ربع مليون نسخة في الساحل الشرقي بالولايات المتحدة وحدها. وضعت مصنفين في السيرة النبوية؛ الأول تحت عنوان (سيرة النبي محمد) دفاعاً عن نبي الإسلام أمام موجة التعصب التي حركتها ردود فعل المسلمين إزاء رواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدي. أما الثاني فيحمل عنواناً مثيراً للانتباه وهو (محمد نبي لزماننا) رداً على استفزاز الإعلام الغربي لمشاعر المسلمين بعد نشر رسوم مسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم وإلصاق تهم الإرهاب والتطرف بهم على خلفية أحداث الحادي عشر من أيلول. وفي كلا المبحثين تستهل المؤلفة حديثها بإدانة صريحة لتاريخ العداء الصليبي للإسلام، ورصد حثيث لأسبابه ومنطلقاته، سواء الدينية منها أو الفكرية أو حتى السياسية. تحركاتها وأعمالها لم ترض اليهود فتحركوا ضدها بحملات

(١) انظر صفحة (ه) في كتاب الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه.

ضاغطة متواصلة. كما تعرضت لحملات شرسة وممنهجة في أجهـزة الإعـلام فـي الولايات المتحدة. وفي عام ٢٠٠٨ منحت جائزة حرية العبادة بمعهد روزفيلت[١].

ومن أبرز انتقاداتها لبعض الآراء الاستشراقية ما يأتي:

أولاً: انتقدت وبشدة العديد من المستشرقين الذين زعموا بأن الإسلام انتشر بحد السيف، حيث أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإسلام لم يجبر قط أحداً على اعتناق الإسلام، وأثبتت تعايش المسلمين واليهود والمشركين كأمة واحدة في ظل سلطة المسلمين. [٢]

ثانياً: انتقدت التوجه الاستشراقي المزعوم حول اضطهاد الإسلام والرجل للمرأة في عدد من الأمور، فأوضحت لهم الحقوق التي نالتها المرأة المسلمة، حيث ساوى الإسلام بينها وبين الرجل في الفروض الدينية، وأعطاها حق النفقة والمهر والميراث والطلاق والشهادة والاستئذان في الزواج وحرية التملك والتصرف وحسن معاملة زوجها لها، ثم ذكرت الغرب بما كانت عليه أوضاع المرأة قبل الإسلام مقارنة بما حصلت عليه بعده، وأن هذه الحقوق التي أُعطيت لها قبل ١٤٠٠عام لم تعطى للمرأة الغربية إلا مؤخراً، ولازالت المرأة في الغرب تنشد المساواة مع الرجل. وذكّرت الغربيين بأن تحرير المرأة كان أمراً محبباً لقلب محمد، واعتبرت إنجازاته صلى الله عليه وسلم شيئاً غير عادي.[٣]

ثالثاً: انتقدت شبهة جمود الفقه الإسلامي وقفل باب الاجتهاد التي تبناها عدد من المستشرقين.

رابعاً: انتقاداتها لشبهات المستشرقين حول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعدم أُميته، وأخذه العلم من بحيرا الراهب، وانتفاعه المادي من زواجه بخديجة، وانغماسه في الملذات بتعدد الزوجات.

---

(١) ينظر: كارن آرمسترونج: هل هي الأقرب للاعتدال، د. عبدالرحمن أبو المجد، على شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، رابط المقال: https://www.alukah.net/sharia/٠/٢٢٢٨٢؛ كارن أرمسترونج بين سيرتين، حميد بن خيبش، تاريخ ٢٠١٧/٢/١٩م، موقع طريق السلام، رابط المقال:

https://ar.islamway.net/article/٦٩٣٢٥

(٢) مسيرة الإسلام، كارين آرمسترونج، ترجمة هشام الحناوي، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، ٢٠١٢م، ص ٤٤.

(٣) يُراجع في ذلك ماكتبته أرمسترونج، ومنه: سيرة النبي محمد، محمد نبي لزماننا، مسيرة الإسلام، الإسلام في مرآة الغرب.

وبلا ريب، ما سبق من دراسات "النقد الذاتي" لها وقعها وقوتها في الأوساط الغربية، بل أسهمت هذه الدراسات النقدية في دفع بعضهم للتراجع عن آرائهم المتحاملة على الإسلام، واضطرار البعض الآخر لرسم مسار جديد.

خامساً: تعرّف أعداد كبيرة من الغربيين على الإسلام.

فتحت الدراسات الاستشراقية باباً كبيراً ومجالاً واسعاً لجموع كبيرة من الغربيين للتعرف على الإسلام من كثير من الزوايا ووفق ما أثاره المستشرقون؛ حيث إن بعضهم لم يُسلّم بكل مما سمعه من أقوال وقرأه من كتابات المستشرقين تسليماً مطلقا، إنما سعى للبحث الذاتي والقراءة المنفردة والبحث المستقل بغية الوصول إلى مكمن الحقيقة المتعلقة بالإسلام، فطبيعي جداً أن بعض البشر لا يبني قناعاته الكبرى إلا بعد بحثٍ وتحرٍ وإعمال للعقل، ولم يحرم الله الكثير من الغربيين من هذه الصفة، التي ساقت بعضهم إلى رحاب الإسلام.

فمعلوم أن أغلب الأوروبيين الذين أسلموا بالذات خلال قرن من الزمان وحتى اليوم، كان للدراسات الاستشراقية دور في ذلك، لا أقول الدراسات المنصفة للإسلام فحسب، إنما كذلك الدراسات المتحاملة على الإسلام والطاعنة فيه والمشككة به، وهذا يؤكد قطعاً أن وراء كل شر خير آت، وأن النور أحياناً قد ينبثق من دجى الظلام، فكل فعل له ردة فعل، ولقد كان إسلام أعداد كبيرة من الأوروبيين منبثق من ركام تلك الدراسات الاستشراقية بمختلف اتجاهاتها، وهذ قد لا يستوعبه كثيرون ممن حرموا من بعد النظر.

وقد ساعد الاستشراق في تعريف الغرب بالإسلام وحضارته وبالتراث العلمي للمسلمين من خلال ترجمة مئات الأعمال الإسلامية الهامة إلى اللغات الأوروبية، خاصة وأن المسلمين لم يهتموا بترجمة تراثهم وتعريف الآخرين به، وتركوا مهمة الترجمة للمستشرقين[١].

طبعاً لا أدّعي كباحث أن كل من أسلم من الأوروبيين كان إسلامه ردة فعل وثمرة من ثمار الدراسات الاستشراقية، نظراً لاختلاف الحالات وتعدد الأسباب، بيد أن مقارنة سريعة تؤكد ما ذهبت إلية؛ فقد خلقت الرسوم والأفلام المسيئة للرسول ﷺ جدلاً واسعاً في الغرب، أدى ببعض الناس هناك إلى البحث في الإسلام واستجلاء حقيقته،

(١) آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، ص ١٣٧.

ومن ثم تولدت لديهم القناعة بالإسلام فأعلنوا إسلامهم، ومن أشـهر أولئـك المخـرج الهولندي (أرنود فان دورن) مخرج فيلم (فتنة) المسيء للإسلام وللرسـول ﷺ، الـذي أعلن بعد ذلك إسلامه وأتى للعمرة وزيارة الحرمين الشريفين.

كما أن الحراك العلمي والثقافي من الطـرف العربـي والإسـلامي المتـصل بالحديث عن الإسلام وبيان محاسنه بصدد تفنيد مزاعم المستشرقين والرد علـيهم، ثـم ترجمته لعدة لغات أجنبية ونشره وتداوله على مستوى كبير وواسع؛ كان إحدى الحلقات المهمة الفاعلة والمؤثرة في دخول أعداد كبيرة من الأوروبيين وغيرهم في الإسلام.

سادساً: إسلام بعض المستشرقين.

لقد كان هذا الأمر هو الحدث الأبرز النـاتج عـن الاستـشراق والدراسـات الاستشراقية، وردة الفعل العظيمة لدى بعض المستشرقين الذين توسعوا في القراءة عن الإسلام بمنهجية علمية متجردة، خدمة للعلم واكتـشافاً للحقيقـة؛ حيـث أراد الله لهـم الهداية، فتفتحت عقولهم وقلوبهم للحقيقة فأشرق فيه نور الهداية ومعرفـة الحـق، فلـم يترددوا بعد هذا كله من إعلان إسلامهم، ومنهم من أسلم بصمت.

ومن هؤلاء المستشرقين من تعمق في دراسة الإسلام فأسلم، وكتب عن الدين الإسلامي مالم يكتبه أبناؤه، أمثال: محمد أسد (ليوبولد فايس) وعبد الرشيد الأنـصاري (روبـرت ولزلي) وناصر الدين (دينيه) وعبدالكريم جومانوس والسيدة مريم جميلـة (مارجريـت ماركوس) والكاتبة البريطانية (إيفلين كوبلـد) والـدكتورة سـتان رايتـنس الهولنديـة ومارشيلا مايكل أنجلوا الإيطالية، وقد أسلمن بعد بحث واقتناع، واعترفن بأن الإسـلام دين الفطرة، ومنهاج الحياة السوي المستقيم[١] .

وقع العديد من المستشرقين تحت تأثير الفكر الإسلامي الدارسين له، ويعد هـذا من الايجابيات الهامة للاستشراق، وشهادة استشراقية على سـلامة الفكـر الإسـلامي وصحته، وقدرته على التغلغل في نفوس الدارسين له من غير اتباعه. وقد حصل هـذا التأثير في نفوس بعض المستشرقين إلى الحد الذي هجروا فيه معتقدهم وأعلنوا الدخول في الإسلام.

والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحـصر: المستـشرق الفرنسي ايتين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩)، والمستشرق النمساوي ليوبولد فايس المعـروف

---

(١) أحمد محمد جمال، مفتريات على الإسلام، ص ١٣، وآثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، ص١٩.

في الإسلام باسم محمد أسد؛ والذي أعلن إسلامه عام ١٩٢٧م، والمستشرق الانجليـزي وليم بكتول (١٨٧٥-١٩٣٦) الذي أسلم عـام ١٩٢٢م وتـرجم القـرآن الكـريم إلـى الانجليزية، والمستشرق الفرنسي فنساي مونتاي الـذي أسـلم عـام ١٩٧٧م وتـسمى بالمنصور بالله الشافعي، والمستشرق الجامايكي دوجلاس أرثر وأسـتاذ علـم الـنفس بأمريكا وقد تسمى بعبد الله آرثر، والدكتور آرثر كين المتخصص في الفلـسفة وعلـم النفس والذي أسلم في السبعينات وتسمى رجاء جارودي، والمستشرق فريتس كرنكـوف وتسمى باسم محمد سالم الكرتكوى، والمستشرق الانجليزي هـ.س فيلبـى (١٨٨٥-١٩٦٠) والمستشرق الفرنسي موريس بوكاي.

أما قائمة المعجبين بالإسلام أو ببعضه والمتعاطفين معـه مـن المستـشرقين فكبيرة ويصعب حصرها ونذكر منهم جورج سيل (١٦٩٧-١٧٣٦م) والـذي وُصـف بأنه نصف مسلم، والمستشرق الألماني ج.ج رايـسكة (١٧١٦-١٧٧٤م) وإدوارد لـين (١٨٠١-١٨٧٦م) وويفلرد للنت (١٨٤٠-١٩٢٢م) وإدوارد بـراون (١٨٦٢-١٩٢٦م) والسير توماس أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠م) والمستشرق ر.ف. بودلي، والسير هـاملتون جب (١٨٩٥-١٩٧١).[1]

التعريف بنماذج مختارة من المستشرقين الذين أسلموا :

أولاً: التعريف بالدكتور ألفونس إتيان دينيه (ناصر الدين دينيه).

المستشرق ألفونس إيتيان دينيه فرنسي الجنسية، ولد في باريس عـام ١٨٦١م، كان أبوه قاضيا بارزا، ووالدته ابنة محامي، وكانا نصرانيين من الطائفـة الكاثوليكيـة، وهو من أبرع رسامي القرن التاسع عشر الميلادي؛ تعلم اللغة العربية وأتقنهـا وأسـس جمعية الفنانين الفرنسيين المستشرقين، وجمعية الفنانين الجزائريين المستشرقين، اعتنق الإسلام وتسمى بناصر الدين دينه، توفي عام ١٩٢٩م إثر نوبة مرضية.

ثانياً: التعريف بالدكتور موريس بوكاي.

موريس بوكاي طبيب، فرنسي، نشأ على المسيحية الكاثوليكية، ولد في مدينـة بون ليفيك؛ في شمال غرب فرنسا عام ١٩٢٠م، وتلقى موريس تعليمه حتى المـستوى الثانويّ، في مدرسة كاثوليكية في مدينته، وتوجه إلى العاصمة الفرنسية؛ ليلتحق بكليـة

(١) آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، ص١٣٥: ١٣٦، ينظر: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعـات الإسـلامية، محمد خليفة حسن أحمد، ص ١٣٥: ١٣٨.

الطب بجامعة باريس، وقد أنهى دراسته الأكاديمية؛ ليعمل بعيادة الجامعة جراحاً شاباً في الأمراض الباطنية، درس اللغة العربية؛ دراسة نظامية، في معهد اللغات الشرقية، حتى أصبح ضليعاً في اللغة العربية، مما مكنه من قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة فاعلة، وبعد أن أتم دراسته للكتب المقدسة، عند اليهود، والنصارى، والمسلمين، ومقارنة قصة فرعون التي وردت في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ يونس: ٩٢ أسلم وألف كتاب (التوراة والأناجيل والقرآن والعلم)، الذي تُرجم لسبع عشرة لغة، منها العربية، وكان موريس الطبيب الشخصي للملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، كما أنه اطلع على ترجمة بلاشير ففتح له آفاقاً لم تكن في حسبانه وتوفى بوكاي في فرنسا عام ١٩٩٨م.

ثالثاً: التعريف بفريتس كرنكوف:

وُلد في شونبرك وهي قرية صغيرة في شمالي ألمانيا، تُوفِّي والده ولم يبلغ السادسة، فانتقلت به والدته إلى بيت أبيها، فتربى هناك، وتعلّم في المدرسة الثانوية في القرية التي ولد فيها. وفي تلك الفترة بدأ يلمّ بالإنكليزية والفرنسية؛ فضلاً عن اللاتينية واليونانية، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره عمل في متجر بمدينة لوبك، وأخذ يتقن اللغات الأوربية، ويتعلم الفارسية بغير معلم سوى الكتاب، قال: ولم أترك ساعة تسنح لي إلا اشتغلت فيها بالكتب التي وقعت بين يديّ، وفي سنة ١٨٩٢ انتقل إلى برلين، وبعد سنتين سافر إلى إنكلترا، وتوفي في كمبردج انجلترا في ١٩٥٣/٦/٧م.

وله جهود واسعة في الكتابة والتأليف وتحقيق التراث، ومن كتبه: الوحدة في الإسلام، والسيرة النبوية في الكتب الشعبية العربية، والأدب الشعبي العربي. ومن تحقيقاته للتراث: ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي المثيل، والأفعال لابن القطاع، وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه، وكتاب المجتنى لابن دريد، ومعاني الشعر لابن قتيبة، وغيرها.

رابعاً: التعريف بالدكتور مراد هوفمان:

مفكر ألماني ديانته السابقة الكاثوليكية ولد في ١٩١٣م لأسرة كاثوليكية، وقد تعرض في بداية حياته لحادث مروري مروع قال له الجراح: إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع أحد وإن الله يدّخر لك يا عزيزي شيئاً خاصاً جدا، وبدأ دراسته

الجامعية بنيويورك في ١٩٥٠م، وحصل على الدكتوراه في القانون الأمريكي من هارفارد، وقد عمل في الإدارة الخارجية الألمانية من ١٩٦١م – ١٩٨٤م، تولى إدارة استعلامات حلف الناتو بين عامي (١٩٨٣-١٩٨٧)، وعُيِّن بعدها سفيرًا في الجزائر سنة ١٩٨٧م، وانتقل منها إلى المغرب سنة ١٩٩٠م؛ حيث تولّى المنصب نفسه إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٩٤م، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م، وهو متزوج من سيدة تركية وقيل: مغربية مسلمة وكان يقيم في تركيا. وهو صاحب العديد من الكتب التي تتناول مستقبل الإسلام في إطار الحضارة الغربية وأوروبا ومن باكورة أعماله كتاب الإسلام البديل وكتاب الإسلام في الألفية الثالثة ثم كتابه رحلة إلى مكة حيث تركز العديد من كتبه ومقالاته على مكانة الإسلام في الغرب.

خامساً: التعريف بالدكتور روجيه دوباكييه:

ولد دوباكييه عام ١٩١٧م، ونشأ في بيئة مسيحية، بروتستانتية، وتأثر بالفلسفة الوجودية، حيث يرى أن الأديان ماهي إلا معتقدات خرافية، كاتبٌ، وصحفي سويسري، درس الإسلامَ، واعتنقه وأسمى نفسه: سيد عبد الكريم، كما أسلمت زوجتُه الهولندية، عاش المستشرق السويسري روجيه دوباكييه سنوات طويلة في عالم الغفلة، والمتعة، واللهو، قبل أن يعتنق الإسلام؛ بعد مشاهدته لسعادة المسلمين الكبيرة بهذا الدين، رغم ما يعانيه البعض منهم من فقر، وحاجة، اشتغل بالصحافة، وبدأ يسافر إلى بلدان عديدة، منها السويد، حيث عمل بها مراسلاً صحفياً نهاية الحرب العالمية الثانية، واكتشف في السويد أن الناس تعساء، برغم التقدم والرخاء، وكذلك في بلده سويسرا كان يشعر فيها بنفس ما شعر به في السويد، وبعكس ذلك عندما سافر إلى بعض الدول الإسلامية في الشرق، وجد المسلمين يشعرون بسعادة أكثر، وأن حياتهم لها معنى؛ رغم فقرهم الشديد.

توجه دوباكييه لدراسة ديانات الشرق، وبدأ بدراسة الديانة الهندوكية، ثم درس الدين الإسلامي، حيث وجده لا يتعارض مع الديانات الأخرى، بل إنه يتسع لها جميعاً، وكانت هذه الحقيقة تزداد يقيناً عنده باتساع قراءاته، حتى رسخت في ذهنه تماماً، اكتشف دوباكييه أن الإسلام يعطي معنى للحياة، على عكس الحضارة الغربية التي تسيطر عليها الماديات، ولا تؤمن بالآخرة، وإنما تؤمن بهذه الدنيا فقط، وبدأ دوباكييه يتعمق في قراءة تعاليم الدين الإسلامي، ويزداد قرباً والتصاقاً به يوماً بعد يوم؛ من

خلال زياراته إلى الدول الإسلامية؛ التي شاهد فيها معالم الإسلام، ولاحظ دوباكييه خلال تلك الزيارات خلو هذه المجتمعات المسلمة من الأزمات الأخلاقية، التي تغزو الغرب، حيث الانحلال، والفساد، والخمر، ولحم الخنزير، تلك الحياة التي تدفع بالكثيرين إلى الانتحار، والهروب من مآسيها؛ بعد تعاطيهم المخدرات، وشعورهم اليقيني بعدم قيمة الحياة، بخلاف الإسلام الذي يبسط السكينة في النفوس.

وسافر دوباكييه إلى المملكة العربية السعودية، وهناك أعلن إسلامه بعد فترة طويلة من التمعن والتمحيص في هذا الدين الذي أدركه؛ وأدرك سنوات حياته الطويلة التي عاشها في الظلمات، ووجد بالتالي إجابات شافية لأسئلته التي طرق معها أبواب الديانات المختلفة قبل أن يجد لها الدين الإسلامي الإجابات الشافية والكاملة.

سادساً: التعريف بالدكتور غاري ميلر:

ولد عبد الأحد عمر في مدينة هنتسفيل بولاية أركنساس، ثم التحق بكلية سان أنطونيو في كالفورنيا ثم خدم لفترة قصيرة في القوات الأمريكية بين ١٩٦٧ – ١٩٦٨م كان قسيساً يدعو للنصرانية منصّراً وواعظاً في الكنيسة، كما عمل عضو هيئة تدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن قسم الرياضيات، وعُرف بشغفه بهذا العلم ومهتماً بعلم المنطق ومسائله، وقد اشترك مع الداعية الإسلامي أحمد ديدات –رحمهم الله– في مناظرة مشهورة حيث كان يمثل الجانب النصراني وتميز خلالها بمنطقه القوي، وحجته الحاضرة، حيث كان متعصبا لدينه، ثم أشهر إسلامه في عام ١٩٨٧م.

سابعاً: التعريف بالمهندس لورد هدلي

سيف الرحمن رحمة الله فاروق (اللورد هدلي) ولد عام ١٨٥٥م، التحق وهو صبي بأرقى المدارس الإنجليزية، ثم بجامعة كمبردج التي تخرج فيها عالم بالرياضيات، ثم عمل بالتدريس، وعمل في الصحافة، فكان صحفياً جيداً وتولى منصب الناشر لصحيفة ساليسبري، كما كان مهندسا ويعمل في مجال الهندسة، حيث عمل في بناء الطرق في الهند، وكان شخصية مهمة في حماية السواحل، كما كان رياضياً يهوى رياضة الملاكمة والدفاع عن النفس، وله كتاب في الملاكمة، وينتمي إلى طائفة البروتستانت، وقرأ عن الكاثوليكية لمزيد من المعرفة والاطلاع على تعاليمها؛ ولكنه وجد بينهما فروقا لم يقبلها عقله، فاتجه إلى اليهودية فدرسها، ثم إلى البوذية، وأخيرا إلى الإسلام، كان هدلي أحد النبلاء البريطانيين، وسياسياً ومؤلفاً، ينحدر من أسرة ملكية

وهي سلالة ملوك شمال ويلز، ورث لقب النبيل (اللورد) من ابن عمه في عام ١٩١٣م، وكان عضواً في مجلس اللوردات البريطاني، ويعد واحداً من الشخصيات المهمة التي اعتنقت الإسلام، ورئس الجمعية الإسلامية البريطانية، تزوج من الكاتبة الاسترالية باربرا بينتون، أعلن إفلاسه في سنة ١٩٢٢م، ثم عرض عليه عرش ألبانيا عام ١٩٢٥م مع مبلغ مالي كبير؛ ولكنه رفض العرض، كما نال هدلي شهرة بين المسلمين داخل بريطانيا وخارجها؛ ويلقىَ ترحاباً في بلاد المسلمين أينما حل؛ حيث رحل لبعض البلدان الإسلامية، وعندما زار مصر استُقبل بحرارة، وقد وصفت مجلة "المنار" حرارة استقبال المصريين له، وزار بلاد الحرمين وأدى فريضة الحج، وتوفي في لندن ١٩٣٥م.

ثامناً: التعريف ببكثول مارمادوك.

ولد محمد بكثال مارمادوك وليم في عام ١٨٧٥م، لأبوين نصرانيين، ولعائلة إنجليزية من الطبقة الوسطى، تمتد جذورها إلى الفارس ويليام الفاتح، كان والده أحد القساوسة التابعين لكنيسة كانتربري، ووالدته ابنة الأدميرال دونات هنش أوبرين، ولما بلغ سن الدراسة ألحقه والده بالمدرسة التي درس فيها السياسي الشهير ونستون تشرشل، وربطته به علاقة قوية، وكانت شخصية مارمادوك فريدة، ومتميزة، فقد كان ذكياً ونجيباً منذ صغره، تعلم اللغة الفرنسية، والإيطالية، وأجادهما إضافة إلى لغته الأم الإنجليزية، ثم عكف على دراسة اللغة الألمانية والإسبانية، ولما أرسلته والدته بعد وفاة والده إلى بلاد المشرق العربي تنقل بين مصر، وسوريا، وفلسطين، ولفت نظره، وشد انتباهه، حرص المسلمين في هذه البلاد على ممارسة شعائر الإسلام في حياتهم اليومية، فتملكه شغف ورغبة في معرفة الدين الإسلامي، وتعلم اللغة العربية ودرسها على إمام المسجد الأقصى الذي نصحه بالتروي، وبحث أمر إسلامه مع والديه قبل اتخاذ القرار، لأنه خشي أن تكون رغبته في اعتناق الإسلام مجرد فورة عاطفية شبابية مؤقتة، وكانت نصيحة إمام المسجد الأقصى مفاجئة له، فقد كان يسمع أن المسلمين يحرصون على إقناع غيرهم بالإسلام، فجاءت نصيحة الإمام ملغية تلك الفكرة، محفزة له في دراسة الإسلام دراسة دقيقة، وعميقة، وفاحصة، ومنصفة.

ولما سافر مارمادوك إلى تركيا ورأى روح الإسلام حية بين أفراد الشعب التركي المسلم عندما خالطهم وعاش بين أظهرهم، فتأثر بذلك أيما تأثر، ووقع في نفسه

أن يشهر إسلامه في تركيا، لكن أحد أصدقائه المسلمين نصحه أيضا أن يتريث حتى يعود إلى بلاده أولا، ويعلن من هناك اعتناقه للإسلام. وحينما عاد إلى بلاده أخذ بنصيحة صديقه وأشهر إسلامه وسط حيرة وتعجب المجتمع؛ الذي يرى أن شخصاً عُرف عنه أنه كان روائياً، وصحفياً، وقيادياً دينياً، وسياسياً، كيف يقبل أن يغير دين آبائه، وأجداده الذي نشأ عليه وينجذب إلى أن يعبد إله العرب -كما يزعمون- وهو هو، كيف استطاع الإسلام واتباعه أن يقنعوا شخصاً مثل مارمادوك به، لكن مارمادوك لم يعبأ بهم ولم يلتفت لتثبيطهم ومحاربتهم له وهو الذي يعرف بركوب الصعب، فأسلم وهداه الله للحق واختاره بفضله، ومنه، وكرمه، وسمى نفسه محمدا.

تاسعاً: التعريف بليوبولد فايس (محمد أسد).

ولد في إقليم غاليسيا في بولندا في صيف ١٩٠٠م بمدينة (لوو) – التي كانت تابعة للنمسا– من أبوين يهوديين، وكان اسمه (ليوبولد فايس)، وهو صحفي، ومفكر، وكاتب، ولغوي، وفيلسوف، وأديب، وناقد اجتماعي، ومصلح، ومترجم، ودبلوماسي، ورحاله، ومستشرق مسلم، عاش طفولة سعيدة مرضية قبل بلوغه سنه الثالثة عشر حتى أصبح بإمكانه قراءة العبرانية بسهولة، والتكلم بها بطلاقة، وتدرب ليصبح كاهناً مثل جده، لكنه هرب من مدرسته وهو في الرابعة عشر من عمره، والتحق بالجيش النمساوي واتخذ له اسماً مزوراً فكشف والده أمره وأعاده، ثم اشتغل بعد تخرجه من الجامعة بفيينا بالصحافة، سافر إلى القدس في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني، بدعوة من خاله، حيث تعرف على الحركة الصهيونية ورفضها، بدأت من هناك رحلة عشقه للإسلام وعالمه، بدءاً باستكشافه كزائر، ثم كصحفي، وانتهت باعتناقه الإسلام بالجزيرة العربية عام ١٩٢٦م، ألف عدداً من الكتب المتعلقة بالإسلام وتعاليمه وفقهه؛ حتى وُصف بترجمان الفقه الإسلامي، وكان زواجه من زوجته الأولى إلسا تشايمان (عزيزة) التي توفت في مكة بمرض الملاريا بعد أدائها وابنها -من زوج سابق- فريضة الحج.

وارتبط بزوجته الثانية منيرة بنت حسين الشمري في المدينة المنورة وانجبت له ابنهما الذي أسموه (طلال)، الذي يعيش في أمريكا وله اسهامات فكرية في الدراسات المتعلقة بالإسلام والمسيحية، واستمر زواجها عشرون عاما، ثم انفصلا واستقرت زوجته المذكورة بالمدينة، ثم تزوج الثالثة البولونية بولا حميدة الأمريكية والتي أسلمت

أيضا، وقد روى في كتابه (الطريق إلى مكة) تجربته في زيجاته وفي وصف الرحلات والمخاطر التي واجهها في الصحاري والمناخات القاسية، واختياره لـدليل مـن حائـل اسمه زيد بن غانم الشمري، كما ألف الأديب سعد بن خلف العفنان عـن محمـد أسـد ودليله رواية بعنوان (اتفاق الأرواح)،

كما أن محمد أسد صادق الملك عبد العزيز، وقدم لـه المـشورة فـي بعـض القضايا الصحافية والسياسية إلا أنه لم يكن من المستشارين الرسميين للملـك، والتقـى بالشيخ المجاهد عمر المختار في ليبيا، ثم اعتقل من قبل الـسلطات البريطانيـة أبّـان الحرب العالمية الثانية لحمله جوازاً نمساوياً، وكانت سنوات سجنه سنوات مجهولة مـن حياته، وشهد بعد الإفراج عنه ميلاد دولة باكستان التي أصبح مندوباً لهـا فـي الأمـم المتحدة بمدينة نيويورك، وأنشأ في لاهور دار عرفات للنشر، وأصدر في عام ١٩٤٦م صحيفة عرفات، ثم كرر زيارته للملكة العربية السعودية والتقى الملك عبد العزيز بـن عبدالرحمن آل سعود، ووزير خارجيته الأمير فيصل بـن عبـدالعزيز آل سـعود، – رحمهم الله– عام ١٩٥٢م موفداً من الحكومة الباكستانية، واستقر في السنوات الخمـس الأخيرة من عمره في بلدة ميخاس حتى توفي عام ١٩٩٢م.

عاشراً: التعريف بجيولا جرمانوس (عبد الكريم).

ولد في بودابست، لوالدين نصرانيين وتعلم اللغات الغربية (اليونانية واللاتينيـة والانجليزية والفرنسية والإيطالية)، ومـن الـشرقية (الفارسـية والأورديـة والعربيـة والتركية)، مكث فترة في لندن استكمل فيها دراسته في المتحف البريطاني، ثم عاد إلـى بودابست وعين أستاذاً للغات العربية والتركية والفارسية وتاريخ الإسلام وثقافتـه فـي المدرسة العليا الشرقية، ثم في القسم الشرقي من الجامعة الاقتصادية، ثم أستاذاً ورئيـساً للقسم الغربي في جامعة بودابست، وظل يـدرس اللغـة العربيـة وتـاريخ الحـضارة الإسلامية والأدب العربي محاولاً إيجاد حلقات اتصال بين الأمة الإسلامية والاجتماعية والسيكولوجية حتى أحيل للتقاعد عام ١٩٦٥م، دعاه طـاغور للهنـد أسـتاذاً للتـاريخ الإسلامي وهناك أشهر إسلامه وتسمى بعبد الكريم.

وقد روى جرمانوس أنه في عصر أحد الأيام والمطر ينهمر، وكـان صـغيرا في سن المراهقة، يقلب بعض الصحائف لمجلة قديمة مـصورة، وقعـت عينـه علـى صورة للوحة خشبية محفورة، فلفتت انتباهه، وكانت الصورة لبيوت سقوفها مـستوية،

وتعلوها قباب مستديرة ترتفع الى السماء، فملكت الصورة عليه خياله، فشعر برغبة وشوق لمعرفة ذلك النور؛ فمن هنا بدأ بدراسة اللغة اللاتينية، ومن ثم اللغة الفارسية، ثم اللغة العربية، ثم قدم إلى القاهرة وتعمق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر، ثم قصد مكة حاجاً وزائراً للمدينة، وصنف في حجه كتابه (الله اكبر)، وانتخب عضواً في المجمع الإيطالي، ومراسلاً للمجمع اللغوي بالقاهرة، وفي المجمع العلمي بالعراق، وتوفي ١٩٧٩م ودفن في بودابست، قيل عنه: أنه شخص فذ وأنموذج للرجل الكيس بالغ الطرافة لبق ذكي ماهر في اللغات محب للمطالعة ومحب للسفر.[١]

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك كله مع التوثيق والمراجع في: المستشرقون الذين أسلموا أسباب إسلامهم وجهودهم العلمية وتحولاتهم الفكرية ، عبد الله بن عجيل السميري، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٤٠هـ؛ وكتاب إظهار الحق، قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم، محمد عبد الحليم عبدالفتاح، معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٥م؛ وكذلك المستشرقون، لنجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م؛ وموسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث، يمكن استعراض أبرز نتائجه:

١. قدّم المستشرقون خدمات جليلة للإسلام وللتراث الإسلامي، سواءً بنوايا إيجابية حسنة أم نوايا سلبية سيئة.
٢. قام المستشرقون بتحقيق الكثير والكثير من المخطوطات العربية والإسلامية في شتى العلوم.
٣. أثرى المستشرقون مكتبة التراث العربي والإسلامي بتحقيقهم لمئات الكتب ونشرها.
٤. رفد المستشرقون المكتبة العربية بقائمة طويلة من المؤلفات والدراسات التي كتبوها، بما فيها من خير قليل من بين شر كثير فيما يتصل بالدراسات الإسلامية.
٥. اهتم المستشرقون بتعلم اللغة العربية وتعليمها والترجمة منها وإليها إلى أغلب اللغات الأوروبية.
٦. مع شدة مطاعن المستشرقين بالقرآن الكريم؛ إلا أننا نجد من بينهم من لايخلو كلامه من إنصاف له ودفاع عنه.
٧. مع كثرة مزاعم المستشرقين وافتراءاتهم بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته؛ إلا أن إنصافه وإثبات نبوته والذب عنه؛ كان له حضور جيد في بعض تناولاتهم وأقوال بعضهم.
٨. تفاعل العقل العربي والمسلم مع الدراسات الاستشراقية؛ حرّك العقول وأينع الأفكار.
٩. إثراء المكتبة العربية والبحث العلمي ومنهجيته بكتابات علمية ودراسات نقدية للاستشراق ومناهج المستشرقين.
١٠. تعرّف أعداد كبيرة من الغربيين على الإسلام ووصوله إلى أوساطهم الثقافية والاجتماعية والسياسية بل حتى والدينية.
١١. ظهور أعداد لا يستهان بها من فئة المستشرقين المنصفين وإسلام بعض هؤلاء المستشرقين المنصفين وتحولهم إلى الدفاع عن الإسلام ونبيه.
١٢. ظهور شهادات لبعض أشهر رموز الاستشراق منصفة للإسلام مُبينة لمحاسنه.

١٣. ضرورة اجتناب الحكم الواحد على جهود المستشرقين؛ حيث يلزم إعمال العقل والفحص الدقيق لكل دراسة استشراقية ولكل مستشرق على حدة، قبل إطلاق الحكم على أي جهد استشراقي أو مستشرق ما.

١٤. لابد من الانتباه عند دراستنا للمستشرقين إلى ماتراجعوا عنه من أرائهم وأفكارهم.

١٥. وجوب إنصاف المستشرقين إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٨.

١٦. تقدير إسهامات بعض المستشرقين –وإن كانوا قلة– في إنصاف الإسلام ونبيه، وتوعية بني قومهم بالحق والصواب، ودورهم في صناعة التقارب والوئام بين الثقافات.

١٧. إعداد المزيد من الدراسات حول: "دراسات النقد الذاتي عند المستشرقين"، لتمثيلها الجانب الإيجابي في تاريخ الدراسات الشرقية، ولما لها من تأثير بالغ في الأوساط الغربية، إضافة إلى أهمية توثيق الصلة بأصحابها لمزيد من الحوار حول القضايا المختلف فيها.

قائمة المراجع:

١. آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، جابر قميحة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة العاشرة، العدد ١١٦، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، محمد خليفة حسن أحمد، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣. أثر المستعربين من علماء المشرقيات، محمد كرد علي، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٢٧م.
٤. آرثر جون آربري.. الأميركي المتصوّف، موقع البيان، رابط:
https://www.albayan.ae/our-homes/٢٠١٠-٠٩-٠٧-١,٢٨١٠٤٥?ot=ot.AMPPageLayout
٥. أرشيف ملتقى أهل التفسير، محرم ١٤٣٢هـ-ديسمبر ٢٠١٠م، رابط الموقع: http://tafsir.net
٦. الاستشراق أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزيادي، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ١٩٩٨م.
٧. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٨. الاستشراق وتحقيق مخطوطات تراثنا العقلي، صايم عبد الحكيم، مجلة الكلمة، المجلد ١٩، العدد ٧٤ (٣١ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٢م)، منتدى الكلمة للدراسة والأبحاث، لبنان.
٩. الاستشراق، إدوارد سعيد، الطبعة الأولى، ترجمة د.محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
١٠. الإسلام كبديل، مراد هوفمان، تعريب عادل المعلم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١١. الإسلام نهر يبحث عن مجرى، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سورية.
١٢. الإسلام والثقافة العربية في معارك التغريب والشعوبية، أنور الجندي، مطابع الرسالة، مصر.

١٣. إظهار الحق، قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم، محمد عبد الحليم عبد الفتاح، معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤. آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، حسن عزوزي، ٢٠٠٧م، مطبعة آنفو برانت، فاس.

١٥. تأثيرات الاستشراق، د. أنور محمود زناتي، شبكة الألوكة الإسلامية، بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٤٣٤هـ- ٤/ ٣/ ٢٠١٣م، الرابط:

https://www.alukah.net/culture/٠/٥١٢٤٧/#ixzz٦ova٧K٤m٨

١٦. تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق وائل محمود الشرقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٩م.

١٧. ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها، شاكر عالم شوق، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد ٤ ديسمبر ٢٠٠٧م.

١٨. الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، القاهرة.

١٩. جوته والعالم العربي، كاتارينا مومزن، ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، عدد ١٩٤، فبراير١٩٩٥م، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٢٠. حتى الملائكة تسأل رحلة إلى الإسلام في أمريكا، جيفري لانغ، ترجمة منذر العبسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢١. حياة محمد، ر. ف بودلي، ترجمة عبد الحميد جوده السّحار، محمد محمد فرج، دار الكتاب العربي، مصر.

٢٢. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مطابع جامعة الرياض، جامعة الرياض، ١٣٩٦ه.

٢٣. دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (القرآن مترجماً) للمستشرق الإنجليزي آرثر ج. آربري، د. هيثم عبدالعزيز ساب، ص ٥:٨، رابط:

https://d١.islamhouse.com/data/pdf-viewer/web/viewer.html?file=https://d١.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single٨/ar_Derasa_English.pdf

٢٤. دور المستشرق الأمريكي جون إسبوزيتو في معالجة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين، سلمان بن محمد العطوي، بحث مكمل لدرجة الماجستير، غير منشورة، جامعة طيبة، المدينة المنورة ١٤٤٠ه-١٩٣٩م.

٢٥. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، دعوة الحق- سلسلة شهرية، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

٢٦. الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة، محمد شريف الشيباني، ١٤٣٢ه-٢٠١١م، موقع: (Islamhouse.com).

٢٧. زيغريد هونكه وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية، أحلام صابر سحلة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، ١٩٣٩-١٤٤٠هـ.

٢٨. السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، سعيد المغناوي، أشغال الندوة الدولية التي نظمتها مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٢٩. شمس العرب تسطع الغرب، زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٠. الطعن في الدين الإسلامي عند المستشرقين، أمجاد الربيعة، منشور في الشبكة العنكبوتية يوم ٢٦صفر١٤٣٦هـ.

٣١. الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه، محمد الدسوقي، دار الوفاء، ١٩٩٥م.

٣٢. كارين أرمسترونج، الله والإنسان على امتداد ٤٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر، ترجمة محمد الجورا، دار الحصاد، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٣. كارن أرمسترونج بين سيرتين، حميد بن خيبش، تاريخ ٢٠١٧/٢/١٩م، موقع طريق السلام، رابط المقال: https://ar.islamway.net/article/٦٩٣٢٥

٣٤. كارن آرمسترونج هل هي الأقرب للاعتدال، د. عبدالرحمن أبو المجد، على شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة ١٤٣١ه-٢٠١٠م، رابط المقال:

https://www.alukah.net/sharia/٠/٢٢٢٨٢/

٣٥. كيف نفهم القرآن، كامل موسى و علي دحروج، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

٣٦. لماذا اسلم هؤلاء؟: قساوسة ورهبان وأحبار مستشرقون وفلاسفة وعلماء، الطهطاوي، محمد عزت، مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م.

٣٧. الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، ترجمة د. غريب محمد غريب، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٨. المائة الأوائل، مايكل هارت، ترجمة خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.

٣٩. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٢.

٤٠. محمد الإنسان والرسول، توماس كارليل، ١٨٤٠م.

٤١. محمد المثل الأعلى، توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، مكتبة النافذة، مصر، ٢٠٠٨م.

٤٢. محمد في الآداب العالمية المنصفة، محمد عثمان عثمان، ، جامعة ميشيقان، أمريكا، ١٩٩٦م.

٤٣. مستشرق بريطاني: القرآن كلام الله تلقاه النبي من قوة خارقة، الدكتور أحمد بن محمد البريدي، موقع: ملتقى أهل التفسير، بتاريخ: ٢٠٠٨/٠٧/٠٨م.

٤٤. المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

٤٥. المستشرقون الذين أسلموا أسباب إسلامهم وجهودهم العلمية وتحولاتهم الفكرية، عبد الله بن عجيل السميري، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٤٠هـ.

٤٦. المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٧. المستشرقون وخدمة التراث العربي، عبدالعزيز بن سعد الدغيثر، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٢٦ صفر ١٤٣٩ه.

٤٨. المستشرقون ونشر التراث، د. علي بن إبراهيم النملة، الرياض، ١٤٢٤ه.

٤٩. مستشرقين تغزلوا في سحر اللغة العربية، موقع العين الإخبارية، ٢٠١٨/١٢/١٧م.

٥٠. مستقبل الإسلام، جون إسبوزيتو، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، القاهرة.

٥١. مسيرة الإسلام، كارين آرمسترونج، ترجمة هشام الحناوي، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، ٢٠١٢م.

٥٢. مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، مؤسسة دار الشعب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٥م.
٥٣. مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، خالد بن عبدالله القاسم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ.
٥٤. مقالة الطعن في الدين الإسلامي عند المستشرقين، أمجاد الربيعة، منشور في الشبكة العنكبوتية يوم ٢٦صفر ١٤٣٦هـ، الرابط: estshrac.blogspot.com
٥٥. من يتحدث باسم الإسلام، جون اسبوزيتو وداليا مجاهد، ترجمة د.عزت شعلان، وتقديم فهمي هويدي، دار الشروق.
٥٦. موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٥٧. موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.
٥٨. نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.شايب، لخضر، مكتبة العبيكان، الرياض.
٥٩. نبوة محمد، نقلًا عن: le chemin de la –Note de l'auteur .
٦٠. الوجه الآخر للمستشرقين (شهادات عالمية أنصفت الإسلام)، أحمد فوزي سالم، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية في ٥ شعبان ١٤٣٨هـ.
٦١. http://www.almokhtsar.com/html/news/١٩٦٦/٣٠/٩٢٤٥٨.php